تفسير

سورة الحجرات

إعداد

الدكتورة / عفاف على النجار

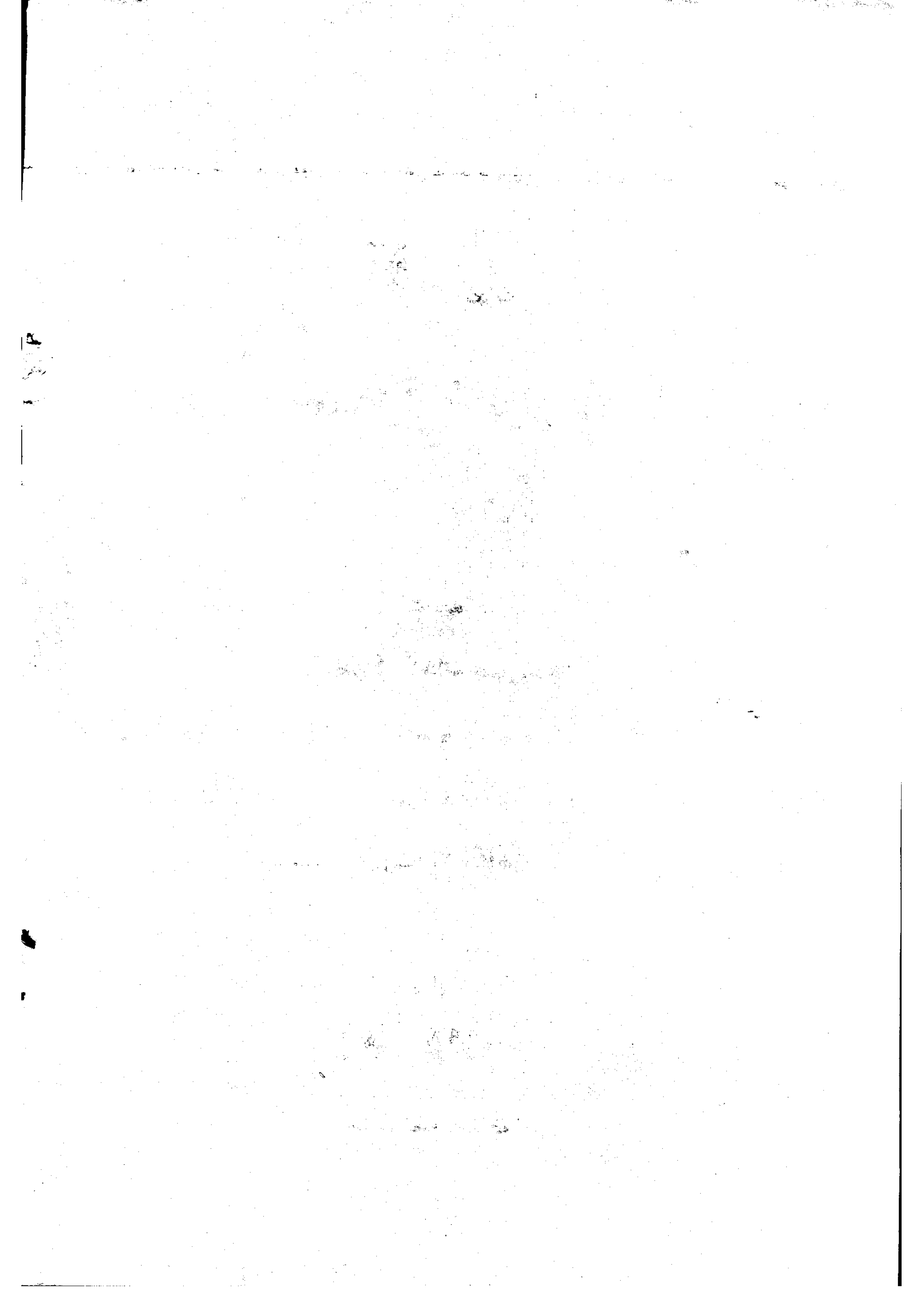
أستاذ م . التفسير وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بجامعة الأزهر - القاهرة

الطبعة الثانية

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م



الإهداء

إلى

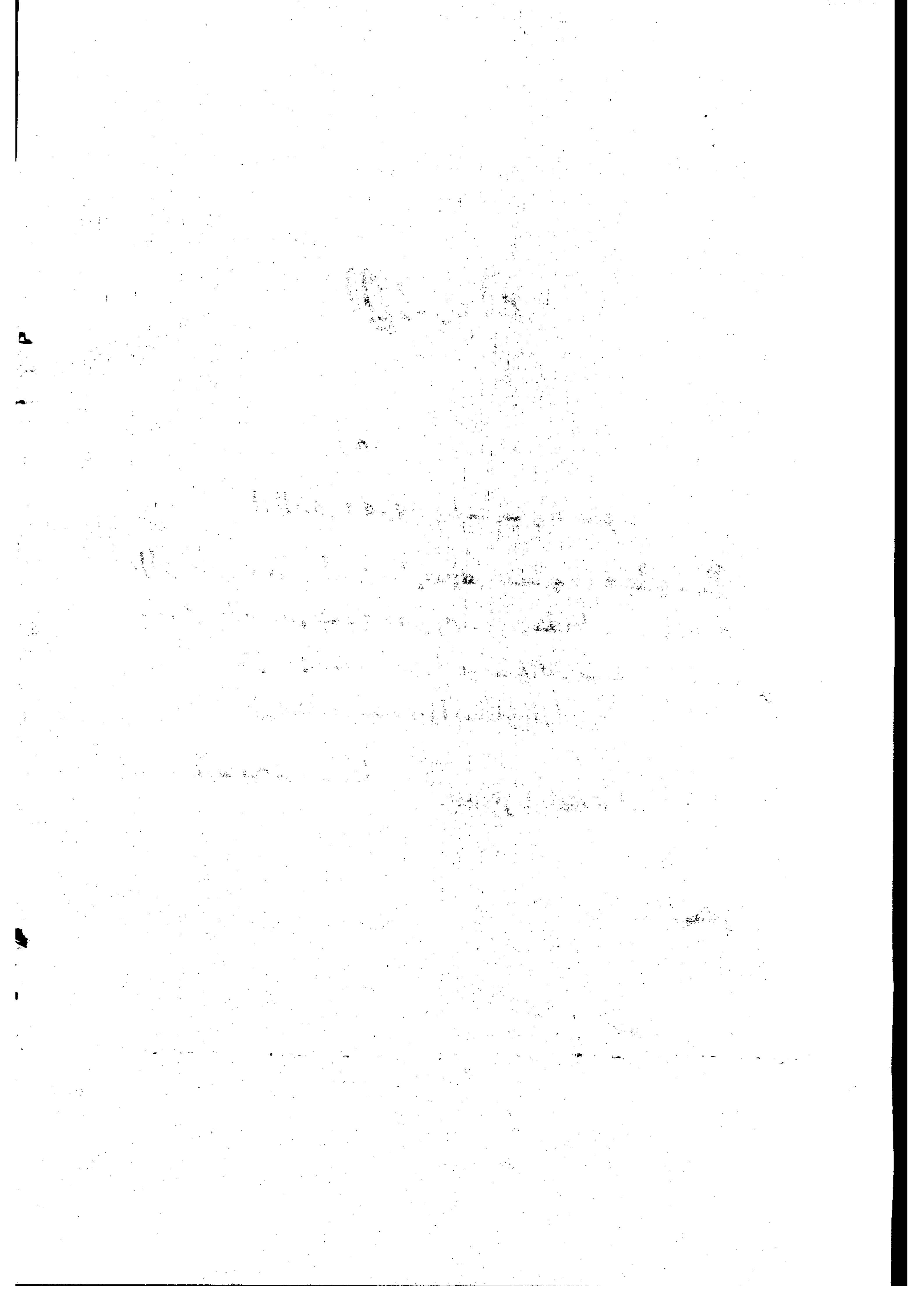
أولادى : مروه ومحمد ومحمود

وإلى كل مسلم آمن بالإسلام ديناً ومنهجاً وعملاً ، واتقى الله فى جميع أموره ... وحفظ عينه وأذنه من التجسس.. ولسانه من الغيبة والنميمة .. وترك الإعجاب بنفسه واحتقار الناس .

أهديهم جميعاً

سورة الحجرات

عفاف النجار



بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن أهتدى بهديه وعمل بشريعته إلى يوم الدين.

وبعـــد

فإن الله تعالى قد انزل القرآن العظيم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكان المعجزة الكبرى الدالة على صدق نبوته ، والهداية الوحيدة إلى سبيل الرشاد ، فقد جمع بين التشريع والتعليم والتأديب والرحمة والإصلاح والحكمة . فكانت أدابه جليلة وتوجيهاته حكيمة ووصاياه نافعة . وذلك من اجل تنشئة الفرد الصالح ، والجماعة المتعاونة والمجتمع الفاضل والامة الخيرة (كنتم خير أمة أخرجت للناس)[١].

ومن ثم كانت سورة الحجرات إحدى سور القرآن الكريم التى اشتملت على أروع المثل الإنسانية العليا فى الاخلاق والآداب والمعاملات حتى سماها البعض "سورة الأخلاق" لذا وجدت فى نفسى ميلا لدراسة الآداب التى اشتملت عليها هذه السورة .

هذا ماحدا بى أن أقوم بوضع تفسير لسورة الحجرات وسلكت فيه منهجا أرجو أن يشبع نفس القارئ وأن ينال إعجاب المطالع .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

سرت فيه على الخطوات الآتية :

أولاً : بدأت بتمهيد بينت فيه تعريف القرآن المكى والمدنى وأهداف كلا منهما ، وبينت مكان السورة بين سور القرآن وعدد آياتها وتسميتها ومناسبة نزولها وجملة ما اشتملت عليه من أهداف وماتضمنته من أحكام وآداب وعلاقتها بالسورة التى قبلها ومابعدها .

ثانياً : اتبعت الآتى فى تفسير السورة :

١- عنونت لكل مجموعة من الآيات بعنوان مناسب لها ثم أتبعته بكتابة الآيات .

٢- ذكر مناسبة الآية أو الآيات لما قبلها .

٣- ذكر أسباب النزول .

٤- شرح الألفاظ شرحا لغويا مناسبا مع بيان المراد من اللفظ حسب وضعه فى الآية .

٥- التعرض للإعراب حيثما احتاج المعني إلي ذلك .

٦- تجلية الصور البيانية لإبراز المعانى الدقيقة العالية .

٧- ذكر المعنى الإجمالى ومايتضمنه من أحكام وعظات وآداب ومناقشات مدعمة ما آراه حقا أو راجحا بآيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال العلماء والمحققين .

والله أسأل أن يحفظني من الزلل وأن يعصمني من الخطأ و(الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنتهدى لولا أن هدانا الله)[1].

★★★★

(١) سورة الاعراف الآية : ٤٣ .

تمهيد

من المعلوم أن القرآن الكريم منه ما هو مكى ، ومنه ما هو مدنى ، والمكى هو ما نزل قبل الهجرة ، والمدنى ما نزل بعد الهجرة .

ومعلوم أن القرآن المكى له أهدافه وأن القرآن المدنى له أهدافه وبالتالى كان للقرآن المكى أسلوبه الخاص الذى يتفق مع أهدافه وللقرآن المدنى أسلوبه الخاص الذى يتفق مع أهدافه . مراعاة لمقتضى الحال فى كل من القسمين .

أهداف القرآن المكى :

لو نظرنا نظرة إجمالية إلى القرآن المكى لوجدنا أن أغلبه يتسم بما يأتى :

١- أنه حمل حملة شعواء على الشرك والوثنية ، وعلى الشبهات التى تزرّع بها أهل مكة للإصرار على عبادة الأصنام والأوثان ، وقد سلك القرآن المكى كل السبل لإقتلاع هذه العقيدة من نفوسهم ، وأتاهم بكل دليل على بطلانها ، وحاكمهم إلى الحس وإلى الوجدان ، وضرب لهم أبلغ الأمثال ، مبينا لهم أن هذه الآلهة التى يعبدونها لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ، وأنها لاتخلق شيئاً بل هم الذين ينحتونها ويصورونها (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم

ينصرون)[١] .

وقد ركز القرآن المكى على هذه الناحية فى آيات كثيرة حتى انتهى بهم الى أن تلك الآلهة المزعومة لا تقدر أن تخلق مجتمعه أقل نوع من الذباب ، بل لا تستطيع أن تدفع عن نفسها شر عادية الذباب قال تعالى: (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو إجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)[٢] .

ومع هذا ظل القوم فى عنادهم محتجين بأنهم وجدوا أباءهم كذلك يعبدونها فنعى القرآن عليهم هذا الجمود والتقليد للآباء هذا التقليد الأعمى وسفه أحلامهم وأحلام أبائهم الذين أهملوا النظر فى أنفسهم وفى آيات الله فى الآفاق . قال تعالى : (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه أباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير)[٣] .

وقال تعالى :(بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون)[٤] .

ونجد القرآن المكى زاخراً كذلك بمناقشة هؤلاء المشركين فى

---

(١) سورة الاعراف الأيتان : ١٩١ ، ١٩٢

(٢) سورة الحج الاية : ٧٣ .

(٣) سورة لقمان الآية ٢١ .

(٤) سورة الزخرف الآية : ٢٢

عقائدهم الضالة التى نجمت عن تلك الوثنية من : جحود الإله والنبوات وإنكار البعث والمسئولية والجزاء ، ففتح عيونهم ولفت أنظارهم إلى ما فى أنفسهم من شواهد الحق على وحدانية الله (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[١] ولفت أنظارهم إلى الكون ونوع لهم فى الأدلة وتفنن فى الأساليب ، ثم قادهم من وراء ذلك قيادة رشيدة حكيمة إلى الإعتراف بوحدانية الألوهية عن طريق إعترافهم بوحدانية الربوبية فكما أنه لا خالق إلا الله فلا معبود بحق إلا الله ، وأفاض القرآن المكى فى ذكر دلائل البعث والحساب والجزاء وكذلك فى دلائل إثبات الوحى والرسالة ورد كل شبهة تمسكوا بها .

ومما تجدر ملاحظته أن بعض السور المكية تارة تتحدث عن هذه الأصول الثلاث مجتمعة ، وبعض السور يفرد كل أصل من هذه الأصول الثلاثة بالحديث ، مع ملاحظة أن لكل سورة منهج خاص وأسلوب خاص.

٢- أنه تحدث عن عاداتهم القبيحة كالقتل ، وسفك الدماء ، ووأد البنات ، وأكل اموال اليتامى ، وإستباحة الأعراض ، فلفت أنظارهم الى ما فى ذلك من أخطار ، ومازال بهم حتى طهرهم منها ونجح فى إبعادهم عنها .

٣- أنه شرح لهم أصول الأخلاق ، وأمهات الفضائل والحقوق الإجتماعية شرحاً عجيباً ومازال بهم حتى كره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وفوضى الجاهلية وجفاء الطبع وحبب إليهم

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٢١ .

الإيمان والطاعة والرحمة والإخلاص وإحترام الغير ، وبر الوالدين، وإكرام الضيف ، وحسن معاملة الجار وطهارة القلب إلى غير ذلك.

مع ملاحظة أن هذه المبادىء لم تظهر آثارها فى نفوس أكثرهم إلا بعد حين .

٤- أنه قص عليهم من أنباء الرسل وأممهم ما فيه أبلغ المواعظ وأنفع العبر من تقرير سننه تعالى الكونية فى إهلاك أهل الكفر والطغيان ، وانتصار أهل الإيمان مهما طالت الأيام وامتد الزمان

فهذه هى أهم أهداف القرآن المكى والتى نجد أن سوره قد أفاضت فى الحديث عنه إلى جانب بعض التشريعات الإجمالية التي كان المجتمع المكى فى حاجة إليها وقد وزعت تلك الأهداف على السور المكية فكان لكل سورة نصيب فى تحقيق تلك الأهداف ومنهج خاص فى معالجتها - وأسلوب خاص يتفق مع الهدف الذى من أجله سيقت السورة المكية .

أهداف القرآن المدني :

لو نظرنا إلى القرآن المدنى نظرة إجمالية لوجدناه - إلى جانب إهتمامه بالأمور السابقة - يهتم أولاً بالتحدث عن دقائق التشريع ، وتفاصيل الأحكام وأنواع القوانين المدنية والجنائية والحربية والحقوق الشخصية والإجتماعية والدولية وسائر ضروب العبادات والمعاملات التى ينظم بها المسلمون شئونهم الداخلية والخارجية بعد أن صارت لهم دولة مستقلة باستقرارهم فى المدينة .

ويهتم ثانياً بمجادلة أهل الكتاب الذين كانوا يجاورون الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة ومناقشتهم فى عقائدهم الباطلة وشبهاتهم التى كانوا يتمسكون بها ، وبيان جنايتهم على الحق ، وتحريف الكلم عن مواضعه، وحاكمهم فى كل ذاك إلى العقل والتاريخ .

وقد وزعت هذه الأهداف على السور المدنية ، فتجد سورة تهتم بمناقشة اليهود كسورة"البقرة " وسورة تهتم بمناقشة النصارى كسورة "آل عمران" وسورة تهتم بتنظيم المجتمع داخلياً وخارجياً كسورة "النساء" وهكذا .

فلما كان أهل المجتمع المكى بحالة تستوجب الشدة التي تستخرج الحق من نفوسهم وتدفعهم إليه دفعاً عن طريق الحجة التى تأخذ بالقلوب جاء أسلوب القرآن المكى - فى أغلبه - قصيرالآيات متقارب الفواصل ، قوى الجرس الصوتى للألفاظ وفواصل الآيات ليقرع أذانهم قرعاً فتتخضع قلوبهم .

ولما كان أهل المجتمع المدنى على عكس ذلك وكانت موضوعات القرآن المدنى تحتاج الى الشرح والتطويل لبيان الأحكام جاء أسلوب القرآن المدنى فى أغلبه يفيض رقة وسلاسة .

وفى النهاية نجد هدف القرآن المكى والمدنى واحد هو تحقيق الرسالة الكبرى التى نزل من أجلها القرآن الكريم وهى : إخراج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، ومن إسار العبودية إلى سعادة الحرية ومن ذل العادات الثقيلة الى عز الكمال وسمو الأخلاق والعادات الحميدة .

بين يدى السورة

سورة الحجرات مدنية ، وآياتها ثماني عشرة آية ، وهى سورة جليلة تتضمن حقائق كبيرة من أمور العقيدة والشريعة ، ومن حقائق الوجود البشرى ، وتشمل مناهج التكوين والتنظيم ، وقواعد التربية والتهذيب ، وأصول التشريع والتوجيه ، وأسس المدنية والأخلاق حتى لقد سماها بعضهم "سورة الأخلاق" لأنها وضعت للمسلم أروع المثل الإنسانية العليا فى الأخلاق ، والآداب والأعمال ، والمعاملات .

وسميت السورة الكريمة "سورة الحجرات " لأن الله تعالى ذكر فيها حجرات النبى صلى الله علية وسلم وهى منازله الكريمة التى كان فيها أزواجه الطاهرات ، وقد أشارت الى حادث وقع من وفد بنى تميم حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى "عام الوفود" وكانوا أعرابا جفاة فنادوا من وراء حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، نادوا : يا محمد أخرج إلينا ، فكره النبى صلى الله عليه وسلم هذه الغلظة والجفوة ، فنزل القرآن لتعليم الناس محاسن الآداب تنبيها علي قدر الرسول صلى الله عليه وسلم القائد المربى ، والمرشد العظيم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم .) ولذلك سميت سورة الحجرات ، ونزلت فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك .

وقد جاء فى السورة الكريمة خمس نداءات بلفظ الإيمان (يا أيها الذين آمنوا) وجاء فيها نداء واحد بلفظ (يا أيها الناس) لأن الخطاب كان عاماً للمؤمنين والكافرين وذلك فى قوله جل ثناؤه (يا أيها الناس

إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)[١] .

إبتدأت السورة الكريمة بتوجيه المؤمنين إلى إحترام أوامر الله ، وأوامر رسوله ، وألا يبدوا رأياً ، أو يقضوا حكماً أو يبرموا أمراً قبل أمر الله وأمر رسوله ، فإن ذلك من مستلزمات الإيمان (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ، واتقوا الله إن الله سميع عليم .) وكذلك تأدب المؤمنون مع ربهم ومع رسولهم ، فما عاد أحد منهم يقضى برأيه فى أمر أو حكم إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول الرسول .

ثم تناولت أدباً آخر مع الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة وهو ألا يرفعوا أصواتهم فى حضرته ، تعظيما لمقامه الشريف ، وتوقيراً لجلالة قدره فقال :(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر كريم) .

ومن الأدب الخاص مع الرسول ، إلى الأدب العام مع المؤمنين تنتقل السورة لتوجيه الأنظار الى وجوب التثبت من الأخبار ، وألا يتلقفوا الأنباء على أنها حقائق مؤكدة ، لذلك جاءت الآيات تأمر بالتثبت من مصدر الأنباء والأخبار لا سيما إذا كانت من فاسق أو فاجر (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة

---

(١) سورة الاعراف الآية : ١٣ .

فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون .)

وصيانة للمجتمع الإسلامى من عوامل التفكك والخصام ودرءاً للشرور والآثام ، وإقراراً للحق والعدل والسلام تأمر الآيات الكريمة بالإصلاح بين الفئات المتخاصمة . ثم بردع الظالم وكفه عن ظلمه حتى ولو أدى ذلك إلى قتال الباغى قال تعالى :(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخري فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله . فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

ثم تنتقل السورة لتقيم دعائم المجتمع الفاضل على أسس متينة من الحب والخير والوئام ، فتأمر بصيانة كرامة الفرد ، وتنهى عن السخرية والهمز واللمز بأحدٍ من المؤمنين ، لأنهم يجب أن يكونوا وحدة متماسكة كأعضاء فى جسم الإنسان (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء ، من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) .

وتطهيرا للضمير من أن يتلوث بالظن السىء فيقع فى الإثم ، تأمر السورة بإجتناب الظن السىء بالأخرين ، ليظل المجتمع نقياً بريئاً من الهواجس والشكوك ، وتنهى عن التجسس لكشف العورات ، وتتبع

الهفوات ، وتحذر من الغيبة التى تهدم بنيان المجتمع ، أبدع القرآن فى النهى عنه وصوره بصورة تنفر منه النفوس ... منظر الأخ الذى يأكل لحم أخيه وهو ميت (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم).

وفى النهاية تحدثت السورة عن الأعراب الذين ظنوا أن الإيمان مجرد كلمة تقال باللسان ، ثم جاءوا يمنون على النبى صلى الله عليه وسلم إيمانهم ، ونسوا أن الإيمان قول وفعل وعمل وجهاد فى سبيل الله ، وتضحية بالنفس والنفيس ، وليس مجرد دعوى يدعيها الإنسان (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم ... إلى قوله تعالى يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين . إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون) وهو ختام السورة الكريمة .

علاقة هذه السورة بما قبلها :

إن علاقة سورة الحجرات بسورة الفتح واضحة فهذه السورة متآخية مع ما قبلها لكونهما مدنيتين ومشتملتين على أحكام وتلك فيها قتال الكفار وهذه فيها قتال البغاة .

وتلك ختمت بالذين آمنوا . وهذه افتتحت بالذين آمنوا ، وتلك تضمنت تشريفات له صلى الله عليه وسلم خصوصاً مطلعها وهذه أيضاً فى مطلعها أنواع من التشريف له عليه الصلاة والسلام .

قال أبو حيان[١] :" ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهر ، لأنه عز وجل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : ثم قال (.. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراعظيم)[٢]. فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء مما ينبغي أن ينهى عنه ، فقال تعالى في سورة الحجرات:(ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله).

وكانت عادة العرب - وهي إلى الآن - الإشتراك في الآراء ، وأن يتكلم كل بما شاء ويفعل ما أحب . فجرى من بعض من لم يتمرن على آداب الشريعة بعض ذلك . أ هـ

إضافة إلى ذلك فقد احتوت سورة الفتح على شرح واقعة كان فيها المسلمون يطمعون ويميلون إلى شيء غير ما قبله النبي صلى الله عليه وسلم في صلحه مع مشركي مكة - وهو "صلح الحديبية" - المشار اليه في قوله تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً . ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا . وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيدكم عنهم ببطن مكة من

---

(١) في تفسير البحر المحيط : ١٠٥/٨

(٢) سورة الفتح الآية : ٢٩ .

بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا)[١] .

ولبيان العلاقة بين السورتين ، يحسن ذكر وقائع هذا الصلح وشروطه.

قال ابن كثير :"قال معمر: قال الزهرى فى حديثه : جاء سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا وبينك كتاباً فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بعلى رضى الله عنه وقال :" اكتب بسم الله الرحمن الرحيم " فقال سهيل بن عمرو : أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ، ولكن أكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "اكتب باسمك اللهم - ثم قال - هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله " فقال سهيل : والله لوكنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن أكتب محمد بن عبد الله . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله .

قال الزهري : وذلك لقوله :" والله لايسألوننى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم إياها " فقال له النبى صلى الله عليه وسلم

على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به . فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب سهيل: وعلي أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا .

فقال المسلمون : سبحان الله ! كيف يُرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟[٢] .

---

(١) سورة الفتح الآيات من ١٨: ٢٤ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث ص ٣٥١ .

من هذا العرض يتبين لنا أن صد المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه من دخول المسجد الحرام لأداء العمرة ، داعية الى إثارة حفيظة نفوس بعض المسلمين ، وإلى جريان كثير من اللغط على ألسنتهم . ولكن بعد أن صدقت رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ودخلوا المسجد الحرام آمنين ومحلقين ، زال هذا الشك قال تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ، محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا)[1]

بعد ذلك جاءت سورة الحجرات تحمل لهم هذا التأديب الإلهى بألا يقدموا بين يدى الله ورسوله ، وأن يكون الحكم وحده لله تعالى ورسوله، ولا يخالطهم شيء من ريبة أو شك .

وقال الفخر الرازى :[2] " إن الله تعالي وصف المؤمنين بكونهم : أشداء - على الكفار- ورحماء فيما بينهم ، راكعين ساجدين نظرا إلى جانب الله تعالى ، وذكر أن لهم من الحرمة عند الله ما أورثهم حسن الثناء فى الكتب المتقدمة بقوله (ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل).[3] . ووعدهم بالأجر العظيم ، فقال فى هذه السورة لا تفعلوا ما يوجب إنحطاط درجتكم وإحباط حسناتكم " أ .هـ فقال تعالى :(يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم) .

---

(١) سورة الفتح الآية : ٢٧.

(٢) مفاتيح الغيب : ١١٠/٢٨ .

(٣) سورة الفتح الآية : ٢٩ .

ونخلص مما ذكره هؤلاء الأئمة الأجلاء إلى أن سورة الحجرات أشبه بما يعقب الفتح ، وذلك أنه بعد استتباب الأمر والنصر على العدو فى سورة الفتح ، وضعت سورة الحجرات القوانين والقواعد والآداب التى يجب أن تكون بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين المسلمين ، وكيف يعامل بعضهم بعضاً . فإنهم إذا كانوا فى الأمثال المضروبة فى التوراة والأنجيل قد تراحموا فيما بينهم ، وسجدوا وركعوا وعبدوا ، ثم نموا وعظموا ، وقووا وغاظوا الكفار ، وذلك كما فى قوله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة و مثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآز فاستغلظ فاستوي على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار)(١) فليكن البحث بعد ذلك فى طريقة المعاملة بينه وبينهم ، وكيفية معاملة بعضهم بعضاً وهذا هو ما افتتحت به سورة الحجرات من نصح وإرشاد وتأديب إلى أن ختمت .

مناسبة السورة لما بعدها :

ترتبط سورة الحجرات بالسورة التالية لها "سورة ق " إرتباطاً شديداً حيث أن الله تعالى لما أخبر فى آخر سورة الحجرات أن إيمان أولئك الأعراب لم يكن إيماناً حقاً ، وذلك فى قوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ...) .

---

(١) سورة الفتح الآية : ٢٩ .

وذلك يتضمن أن أولئك الذين قالوا آمنا ، لم يكن إيمانهم حقاً. وانتفاء إيمانهم دليل على إنكار نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإنكار البعث . لذا أفتتح سبحانه هذه السورة بما يتضمن ذلك فقال تعالى :(بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ، فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أءذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد)[1].

وبذلك يتبين لنا ترابط وتناسب سورة (ق) بسورة الحجرات وهكذا جميع سور القرآن الكريم من الفاتحة حتى سورة الناس وليس هذا فحسب بل توجد علاقة بين خاتمة سورة الناس وفاتحة سورة الفاتحة وهى أنه تعالى لما أمر فى سورة الناس بالإستعاذة من شر وسوسة الإنس والجن والبعد عن مزالق الشيطان كان هذا منتهى النعمة على العبد - لهذا يجب عليه التوجه لله تعالى بالحمد قائلاً : الحمد لله رب العالمين .

خلاصة القول نقول : أن هذا الترابط والتناسق بين سور القرآن الكريم بل بين آيات السورة الواحدة يدل على أن هذا الترتيب كان بتوقيف من الله تعالى بواسطة جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا نزل عليه جبريل - عليه السلام . بالآية أو بالآيات يرشده إلى موضعها من سورتها ، فيقرأها صلى الله عليه وسلم ، ويأمر كتاب وحيه بكتابتها فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا بعد آية كذا وقبل آية كذا .

---

(١) سورة ق الآيتان : ٢، ٣ .

روى الإمام أحمد[١] والترمذى[٢] من حديث ابن عباس عن عثمان رضى الله عنه قال " كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى فيها كذا وكذا ... "

(١) فى مسنده ١ /٥٧ .

(٢) فى سننه : كتاب تفسير القرآن باب : ومن سورة التوبة ٥/٢٧٢ قال أبو عيسى "هذا حديث حسن صحيح" .

تفسير سورة الحجرات

الموضوع الأول

موقف المسلمين من احكام الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾

اسباب نزول هذه الآية :

قيل فى سبب نزول الآية وجوه منها :

* أخرج البخارى وغيره من طريق ابن جريج عن ابن أبى مليكة : أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بنى تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : أمّر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : بل أمّر الأقرع بن حابس .

فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافى ، وقال عمر : ما أردت خلافك ، فتماريا حتى أرتفعت أصواتهما ، فنزل فى ذلك قوله تعالى :(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) إلى قوله (ولو أنهم صبروا)[١] .

---

(١) لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ص ١٩٤ .

* وعن إبن عباس رضي الله عنهما : أن النبى صلي الله عليه وسلم أنفذ أربعة وعشرين رجلاً من أصحابه إلى بنى عامر فقتلوهم ، إلا ثلاثة تأخروا عنهم فسلموا وانكفؤا إلى المدينة ، فلقوا رجلين من بنى سُليم فسألوهما عن نسبهما فقالا : من بنى عامر لأنهم أعز من بنى سليم فقتلوهما ، فجاء نفر من بنى سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن بيننا وبينك عهدا ، وقد قتل منا رجلان ، فوداهما النبى صلى الله عليه وسلم بمائة بعير ، ونزلت هذه الأية فى قتلهم الرجلين[١] .

* وأخرج ابن المنذر عن الحسن : أن ناساً ذبحوا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر، فأمرهم أن يعيدوا ذبحاً ، فنزلت الآية[٢]

* وأخرج ابن جرير الطبرى عن قتادة قال : ذكر لنا أن أناسا كانوا يقولون لو أنزل فى كذا ، فأنزل الله[٣] .

* أخرج الطبرانى فى الأوسط وابن مردوية عن عائشة رضى الله عنها: أن ناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى الآية [٤] .

---

(١) تفسير القرطبى : ١٩٩/١٦ .
(٢) لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ص ١٩٥ .
(٣) تفسير الطبرى : ٧٤/٢٦ .
(٤) روح المعانى : ١٣٤/٢٦ .

المفردات :

(يا أيها الذين آمنوا) : تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما فى حيزه أمر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ، ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة عليه ووازع عن الإخلال به .

وذكر هذا اللفظ فى هذه السورة خمس مرات والمخاطب فيهاالمؤمنون والمخاطب به أمر أو نهى . وذكر (يا أيها الناس) مرة والخطاب فيها يعم المؤمنين والكافرين كما أن المخاطب به هو قوله تعالى (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) يعمهما فناسب فيها ذكر الناس .

(لا تقدموا) : قرأ الجمهور "تُقَدموا" بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة وفيها وجهان[١] :

أحدهما : أنه متعد وحذف مفعوله إما اقتصاراً كقولهم هو يعطى ويمنع وكلوا وأشربوا ، وإما إختصارا للدلالة عليه أى لا تقدموا مالا يصلح .

والثانى : أنه لازم نحو وجه وتوجه ، ويعضده قراءة ابن عباس والضحاك "لاتقدموا" بالفتح فى الأحرف الثلاثة ، والأصل لا تتقدموا فحذفت إحدى التاءين وقرىء "لا تُقْدِموا" بضم التاء وكسر الدال من أقدم أى : لا تُقدموا على شىء .

---

(١) الفتوحات الإلهية ١٧٣/٤ .

ومعنى الآية : يا أيها المؤمنون يا من اتصفتم بالإيمان ، وصدقتم بكتاب الله ، لا تقدموا أمراً أو فعلاً بين يدى الله ورسوله ، وحذف المفعول للتعميم ليذهب ذهن السامع إلى كل ما يمكن تقديمه من قول أو فعل ، كما إذا عرضت مسألة فى مجلسه صلى الله عليه وسلم لا يسبقونه بالجواب ، وإذا حضر الطعام لا يبتدئون بالأكل ، وإذا ذهبوا إلى مكان لا يمشون أمامه ونحو ذلك . فتكونوا إما عاملين بالوحى المنزل وإما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس : نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه صلى الله عليه وسلم ، وقال مجاهد : لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء حتى يقضى الله تعالى على لسانه ، وقال الضحاك : لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم ، وقال الحسن البصرى :"لا تدعوا قبل الإمام"(١) .

وفائدة هذا : تمهيد وتوطئة لما صدر منهم فى الآية التالية من رفع أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى (واتقوا الله) . التقوى : فى اللغة : جعل النفس فى وقاية مما يخاف - وقد يسمى الخوف تارة تقوى .

وأما فى الشرع - فهي حفظ عما يؤثم وذلك بترك المحظور ويتم ذلك بترك بعض المباحات (٢) لما رواه البخارى " الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن أتقى المشبهات

---

(١) مختصر تفسير إبن كثير ٣٥٧/٣ .

(٢) بشيء من التصرف والإختصار من لسان العرب لابن منظورة ٤٠١/١٥ ، وتفسير القرطبى ١١٣/١ .

فقد إسبترأ لدينه وعرضه ومن وقع فى المشبهات - كراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه - الحديث "[١] .

والمعنى : اتقوا الله فى كل ما تأتون وتذرون من الأقوال والأفعال التى من جملتها ما نحن فيه .

قوله تعالى (إن الله سميع) لكل مسموع ومنه أقوالكم (عليم) بكل المعلومات ومنها أفعالكم فمن حقه أن يتقى ويراقب .

والخلاصة : أن الله سبحانه وتعالى ينهى عباده المؤمنين فى هذه الآية الكريمة عن مخالفتهم أوامر الله ورسوله مصدراً خطابه لهم بالنداء لإشعارهم أن الأمر خطير يستدعى إهتمامهم واعتنائهم بشأنه واستنار فيهم عاطفة الإيمان للإيذان بأن الإيمان من دواعيه ومقتضياته عدم الخروج على أمر الله ورسوله فى أى شأن من الشئون فى كل ما يأتون وما يذرون وفى كل ما يسرون وما يعلنون وأن العبد المؤمن راضياً بحكم الله ورسوله خاضعاً ومتبعاً للشرع فى جميع أفعاله وأقواله وسائر أحواله.

وينبغى طاعة المؤمن لله تعالى وللرسول وفى كل ما بلغ به الرسول عن الله عز وجل . قال تعالى :(قل اطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه : ٢٠/١ .

الرسول إلا البلاغ المبين)[١] . وقال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً)[٢] .

وقد التزم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بتطبيق ذلك ، وتقديم كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام إذا عرضوا لمسألة أثناء توليهم الحكم أو القضاء . روى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : بم تحكم ؟ قال بكتاب الله . قال صلى الله عليه وسلم فإن لم تجد قال بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال صلى الله عليه وسلم فإن لم تجد ؟ قال أجتهد ورأيى فضرب فى صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسوله لما يرضى رسوله [٣] .

فنراه قد أخَّر رأيه وإجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه لكان من المتقدمين بين يدى الله ورسوله .

وتأمل تكرار لفظ الجلالة ثلاث مرات فى آية واحدة لأن المقام مقام تذكير بعظمة الله ، واستحضار لتقواه عز وجل فى السر والعلانية .

ويحتج بهذه الآية على اتباع الشرع فى كل شىء وتقديم النص على القياس .

---

(١) سورة النور الآية : ٥٤ .
(٢) سورة النساء الآية : ٨٠ .
(٣) أخرجه النسائى فى سننه كتاب : أداب القضاة . باب : تأويل قوله تعالى : ومن لم يحكم بما أنزل الله الآية : ٢٣١/٤ .

الموضوع الثانى

من أدب الحديث
مع النبى صلى الله عليه وسلم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

المناسبة :

فى الآية السابقة نهى الله تعالى عن التجاوز فى نفس القول والفعل، وفى هذه الآية شرع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبى صلى الله عليه وسلم فهذه صورة من الأدب الخاص مع النبى عليه الصلاة والسلام .

أسباب النزول :

عن عطاء الخراسانى قال : حدثتنى ابنة ثابت بن قيس[(١)]

(١) ثابت هذا هو ثابت بن قيس بن شماس الخزرجى يكنى أبا محمد بابنه محمد وقيل : أبا عبد الرحمن قتل له يوم الحرة ثلاثة من الولد : محمد ، ويحى ، وعبد الله ، وكان خطيباً بليغاً معروفا بذلك ، كان يقال له خطيب رسول الله ، كما يقال لحسان بن ثابت شاعر رسول الله ، ولما قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا المفاخرة قام خطيبهم فافتخر ثم قام ثابت بن قيس فخطب خطبة بليغة جزلة فغلبهم أنظر الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ١/٢٠٠ .

قالت : لما نزلت :(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) الآية ، دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه ، ففقده النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه يسأله ما خبره ، فقال : أنا رجل شديد الصوت ، أخاف أن يكون حبط عملى . فقال عليه السلام : (لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير) قال : ثم أنزل الله :(إن الله لا يحب كل مختال فخور)[1] فأغلق بابه وطفق يبكى ، ففقده النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه فأخبره ، فقال : يا رسول الله ، إنى أحب الجمال وأحب أن أسود قومى . فقال : (لست منهم بل تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة) قالت : فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة فلما التقوا انكشفوا ، فقال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حفر كل واحد منهما له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا ، وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة

فمر به رجل من المسلمين فأخذها ، فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت فى منامه فقال له :

أوصيك بوصية ، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ، إنى لماقتلت أمس مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس ، وعند خبائة فرس يستن فى طوله [2] ، وقد كفأ على الدرع بُرْمَةً[3] ، وفوق البرمة رحل[4] فأت خالدا فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها ، وإذا

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٨ .

(٢) الطول : هو الحبل الطويل يشد أحد طرفيه فى وتد أو غيره والآخر فى يد الفرس ليدور فيه ويرعى . لسان العرب ٤١٣/١١ .

(٣) البُرْمه: قدر من حجارة . لسان العرب ٤٥/١٢ .

(٤) رَحْل : مركب للبعير والناقة ، وجمعه أرحل ورحال لسان العرب ٢٧٤/١١ .

قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى أبا بكر فقل له : إن على من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقى عتيق وفلان، فأتى الرجل خالدا فأخبره ، فبعث إلى الدرع فأتى بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته . قال : ولا نعلم أحدا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت ، رحمه الله[١] .

وعن على رضى الله عنه : نزل قوله :(لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ...) فينا لما أرتفعت أصواتنا أنا وجعفر وزيد بن حارثة ، نتنازع ابنة حمزه لما جاء بها زيد من مكة ، فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر ، لأن خالتها عنده[٢] .

---

(١) الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ٢٠١/١ .
(٢) تفسير القرطبى ٢٠٠/١٦ .

معانى المفردات :

(يا أيها الذين آمنوا) فى إعادة النداء مع قرب العهد به فوائد منها:

* زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه : يابنى لا تشرك بالله يا بنى انها إن تك مثقال حبة ... الخ ، يا بنى أقم الصلاة لأن النداء تنبيه للمنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فإعادته تفيد تجدد ذلك .

* ومنها أن لا يتوهم أن المخاطب ثانياً غير المخاطب أولاً
* ومنها أن يعلم أن كل واحد من الكلامين مقصود وليس الثانى تأكيداً للأول

قوله تعالى : (لا ترفعوا أصواتكم) : لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم بصوته ، وعلى هذا يكون المراد حقيقة رفع الصوت لأن ذلك يدل على قلة الإحتشام وترك الإحترام لأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير.

ويحتمل أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغط .

والإحتمال الأول أرجح وأولى فى أداء المعنى .

قوله تعالى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أى لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة[1] بأن يقولوا يا نبى الله يا

---

(١) الكشاف للزمخشرى : ٤/٤ .

رسـول الله توقـيـراً له . والكاف في مـحل نصب على أنهـا نعت مـصدر محذوف : أي جهراً مثل جهر بعضكم لبعض .

وليس الغـرض برفع الصـوت ولا الجـهـر مـا يقـصـد بـه الإسـتـخـفـاف و الإستهانة لأن ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون . وإنماالغرض صوت هو فى نفسـه والمسـمـوع من جرسـه غـيـر مناسب لمـا يُهاب بـه العظمـاء ويوقر الكبراء.

ولم يتناول النهى أيضـاً رفع الصـوت الذى لا يتـأذى بـه رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وهو مـا كـان فى حرب أو مجادلة مـعاند أو إرهاب عدو أو ماشـابه ذلك ، ففى الحديث أنه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما أنهزم الناس يوم حنين :(أصرخ بالناس) وكان العباس أجهر الناس صوتاً . يروى أن غـارة أتتهم يومـا فصاح العـبـاس : ياصاحباه ! فأسقطت الحوامل لشدة صوته [١] .

قـولـه :(أن تحـبـط أعـمـالكم) : قـال الجـوهـرى : حـبـط عـمـلـه بطل ثوابه[٢]. وهى علة للنهى أى لا تجـهـروا خـشـيـة أن تحـبـط أو كـراهـة أن تحبط كما فى قوله : (يبين الله لكم أن تضلوا) .

قـولـه :(وأنتم لا تشـعـرون) حـال من فـاعـل (تحـبـط) ومـفـعـول (تشـعـرون) مـحـذوف بقـرينة مـا قـبـلـه أى والحـال أنتم لا تشـعـرون أنهـا محبطة .

ومعنى الآية : الأمر بتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره،

---

(١) تفسير القرطبى : ٢٠٢/١٦ .

(٢) لسان العرب : ٢٧٢/٧ .

وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته ، أى إذا نطق ونطقتم فعليكم ألا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه صوته ، وأن يغضوا منها بحيث يكون كلامه غالباً لكلامكم ، وجهره باهراً لجهركم .

وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام . وكره بعض العلماء رفع الصوت فى مجالس العلماء تشريفاً لهم ، إذ هم ورثة الأنبياء [١] .

المناسبة :

فى الأية السابقة ترهيب وتخويف من رفع الصوت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى هذه الآية ترغيب فى خفض الصوت ، وفى الإنتهاء عما نهوا عنه . فهو من باب الترغيب عقب الترهيب كى يقبل السامع على الفعل بنفس راضية والإمتثال لما أُمِر به .

معانى المفردات :

قوله تعالى :(إن الذين يغضون أصواتهم) :" الغض : الكف والنقص، وكل شىء كففته ، فقد غضضته . وفى التنزيل :(واغضض من صوتك) أى اخفض الصوت "[١] .

---

(١) لسان العرب : ١٩٧/٧ .

(أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مراراً من تفخيم شأنه ، وهو مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) والجمله خبر إن ، و(لهم مغفرة) جملة أخرى . إما مستأنفة وهو الظاهر وإما حال .

وللعلماء فى معنى (امتحن الله قلوبهم) أقوال :

قال الفراء : أى أخلصها للتقوى . وقال الأخفش : أى اختصها للتقوى . وقال ابن عباس :(امتحن الله قلوبهم للتقوى) طهرهم من كل قبيح ، وجعل فى قلوبهم الخوف من الله . وقال عمر رضى الله عنه : أذهب عن قلوبهم الشهوات . وقال القرطبى : والإمتحان افتعال من محنت الأديم محنا حتى أوسعته ، فمعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى وسعها وشرحها للتقوى وعلى الأقوال المتقدمة : إمتحن قلوبهم فأخلصها ، كقولك : إمتحنت الفضة أى اختبرتها حتى خلصت . ففى الكلام حذف يدل عليه الكلام ، وهو الإخلاص [١] .

واللام فى التقوى متعلقة بمحذوف : أى صالحة للتقوى كقولك أنت صالح لكذا ، أو للتعليل الجارى مجرى بيان السبب ، كقولك جئتك لأداء الواجب : أى ليكون مجيىء سبباً لأداء الواجب .

وقوله تعالى :(لهم مغفرة) أى لهم من الله عفو عن ذنوبهم السالفة وصفح منه عنها لهم .(وأجر عظيم) ، ثواب جزيل وهو الجنة .

---

(١) هذه الأقوال ذكرها القرطبى فى تفسيره : ١٦/٣٠٢ .

المعنى الإجمالى للآية :

فى هذه الآية الكريمة مدح الله تعالى الذين امتثلوا أوامره ولزموا حسن الأدب فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم وخفضوا أصواتهم بحضرته ، ووصفهم بأنهم أخلصوا قلوبهم للتقوى أى أخلصت وجعلت محلاً للتقوى وابتدأ ذلك الثناء بالجملة الإسمية المؤكدة بحرف التوكيد ووعدهم على ذلك المغفرة العظيمة لسائر ذنوبهم والأجر الكريم لغضهم أصواتهم واحترامهم مجلس رسول الله .

وأعد لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال تبارك وتعالى (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) .

قال الإمام أحمد فى كتاب الزهد :

حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد .

قال : كتب إلى عمر رضى الله عنه (يا أمير المؤمنين ! رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها أفضل ؟ أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر رضى الله عنه : إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) .



قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

أسباب النزول :

أخرج ابن جرير عن الأقرع بن حابس التميمى أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فناداه فقال يا محمد إن مدحى زين وإن شتمى شين فخرج إليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ويلك ذلك الله فأنزل الله (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية)[١] .

وروى أنهم وفدوا وقت الظهيرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم راقد فجعلوا ينادونه : يا محمد يا محمد أخرج إلينا ، فاستيقظ وخرج ونزلت . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (هم جفاة بنى تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم .[٢]

وروى عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى بنى العنبر وأمر عليهم عيينه بن حصين فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينه وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) تفسير الطبرى : ٢٦/٧٧ .
(٢) تفسير القرطبى : ١٦/٢٠٤ .

فجاءه بعد ذلك رجالهم يفتدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسـول الله صلى الله عليـه وسلم قـائلاً فى أهله فلمـا رأتهم الذرارى أجهضوا إلى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا أن يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد أخرج إلينا فنزل عليه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً فقال لهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم أترضون أن يكون بينى وبينكم شبرمة بن عمر وهو على دينكم . قالوا : نعم فقال . شبرمة أنا لا أحكم وعمرو شاهد وهو الأعور بن بشامة فرضوا به فقال الأعور: أرى أن تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ، ففادي نصفهم واعتق نصفهم فأنزل الله عز وجل الآية (١).

معانى المفردات :

قوله :(من وراء الحجرات) وراء أى من خـارجهـا من خلفهـا أو قدامها.ووراء من الموارة والإستتار فما استتر عنك فهو وراء خلفا كان أو قداماً إذا لم تره فإذا رأيته لا يكون وراءك .

فالوراء بالنسبة إلى من فى الحجرات ما كان خارجها لتواريه عمن فيها (٢).

---

(١) تفسير الخازن : ٦/٢٢٠ – ٢٢١ .

(٢) بشيء من التصرف والإختصار من لسان العرب : ١٥/٢٨٩ ، والفتوحات الإلهية ٤/١٧٦ .

و(من) إبتدائية - لإبتداء الغاية - دالة على أن المناداة نشأت من جهة الوراء وأن المنادى داخل الحجرة لوجود اختلاف المبدأ والمنتهى بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات [١].

والحجرات جمع حجرة على وزن فعلة بضم الفاء وسكون العين وهى القطعة من الأرض المحجورة أى الممنوعة عن الدخول فيها بحائط .

والمراد بها : حجرات نسائه عليه الصلاة والسلام وكانت تسع حجرات لكل منهن حجرة . وكانت من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود . فقد أخرج البخارى في كتاب الأدب عن داود بن قيس قال : رأيت الحجرات من جريد النخل مغشى من خارجها بمسوح الشعر

وعن الحسن قال : كنت أدخل بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى خلافة عثمان بن عفان فأتناول سقفها بيدى [٢].

وقد أدخلت فى عهد الوليد بن عبد الملك بأمره فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وبكى الناس لذلك ، وقال سعيد بن المسيب يومئذ: والله لوددت أنهم تركوها على حالها لينشو أناس من أهل المدينة ويقدم القادم من أهل الآفاق فيرى ما إكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر فيها[٣].

---

(١) تفسير أبى السعود ١١٧/٨ .

(٢) روح المعانى للألوسى : ١٣٩/٢٦ .

(٣) روح المعانى للألوسى : ١٣٩/٢٦ .

وفى ذكر (الحجرات) كناية عن خلوته صلى الله عليه وسلم بنسائه لأنها معدة لهن ولم يقل حجرات نسائك ولا حجراتك توقيرا له صلى الله عليه وسلم وتحاشيا عما يوحشه عليه الصلاة والسلام .

كيفية المناداة : إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فنادى كل واحد على حجرة[١].

وقيل : إن الذى نادى رجل واحد من وراء حجرة واحدة وإنما أسند النداء إلى الكل لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به ، وجُمعت الحجرات إجلالاً له عليه الصلاة والسلام[٢].

قوله تعالى : (أكثرهم لايعقلون) لغلبة الجهل عليهم وكثرة الجفاء فى طباعهم . إذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الأدب .

والحكم على الأكثر دون الكل : قيل : أن العرب تذكر الأكثر وتريد الكل . ولعلمه تعالى بأمورهم وبعاداتهم أتى بما يناسب كلا منهم .

وقد يكون المراد : أنهم فى أكثر أحوالهم لايعقلون .

أو لعل منهم من رجع عن تلك الأهواء ، ومنهم من استمر على تلك العادة الرديئة فقال أكثرهم إخراجاً لمن ندم منهم .

---

(١) الفتوحات الالهيه : ١٧٧/٤ .

(٢) تفسير أبى السعود : ١١٨/٨ – بتصرف .

قوله تعالى : (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم) إشارة الى حسن الأدب الذى على خلاف ما أتو به من سؤ الأدب فإنهم لو صبروا لما احتاجوا إلى نداء ، وإذا كنتَ تخرج إليهم فلا يصح إتيانهم فى وقت إختلاتك بنفسك أو بأهلك أو بريك فإن للنفس حقاً وللأهل حقاً

وفى قوله "ولو أنهم صبروا ... "، أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل لفعل محذوف تقديره : لو ثبت صبرهم وهو أولى من تقديره مبتدأ والخبر محذوف التقدير : ولو صبرهم ثابت، لاختصاص "لو" بالدخول على الفعل لأنها شرطية .

وجواب "لو" قوله تبارك وتعالى : "لكان خيراً لهم" وإسم كان ضمير يعود على المصدر المقدر فاعلاً وهو صبرهم ، وقيل : على مصدر الفعل المقدر أى لكان ثبوت صبرهم خيرا .

وإن سأل سائل : هل من فرق بين (حتى تخرج) وإلى أن تخرج؟ أجيب: إنَّ (حتى) مختصة بالغاية المضروبة تقول : أكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز و (إلى) عامة فى كل غاية .

فقد أفادت (حتى) بوضعها أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية فقد ضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الإنتهاء إليه.

وفى التعبير بقوله تعالى "إليهم" معنى رائع جميل يفيد بأنه عليه الصلاة والسلام لو خرج لا لأجلهم ينبغى أن يصبرا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم فليس زائدا بل قيد لابد منه .

وفى قوله : (والله غفور رحيم) أى بليغ المغفرة والرحمة فلم تضق ساحة مغفرته ورحمته عز وجل عن هؤلاء إن تابوا وأصلحوا.

المعنى العام للآيتين :

فى هاتين الآيتين يذم الله تعالى جفاة الأعراب الذين لم يراعوا الأدب الذى يتناسب وعظم قدر النبى صلى الله عليه وسلم حيث نادوه من وراء الحجرات فى وقت راحته بغلظة وجفاء فوصفهم الله تبارك وتعالى بعدم العقل والفطنة مبينا أن ذلك دليل على شدة الجهل والغباء وأن من كمل عقله وحسن يقينه لايجرؤ على مثل ذلك ولابد أن يكون فى غاية الأدب مع رسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع، وتجاوزوا به شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كل أستاذ وعالم. لا يزعجونه حتى يخرج إليهم، ولايقتحمون عليه حتى يدعوهم .. يحكى عن أبى عبيد - العالم الزاهد - الراوية الثقة - أنه قال : "مادققت بابا على عالم قط حتى يخرج فى وقت خروجه" وروى عن الحبر ابن عباس كان يذهب إلى أبى فى بيته لأخذ القرآن العظيم عنه فيقف عند الباب ولا يدق الباب عليه حتى يخرج فاستعظم ذلك أُبى منه فقال له يوماً : هلا دققت الباب يا ابن العباس: فقال : العالم فى قومه كالنبى فى أمته وقد قال الله تعالى فى حق نبيه عليه الصلاة والسلام (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم).

الموضوع الثالث

التحذير من سماع الاشاعات

والدعوة إلى التثبيت في تلقى الاخبار

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

ترشد هذه السورة المؤمنين إلي مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله تعالى أو مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو مع غيرهم من أبناء الجنس، وهم على صنفين ، لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين فى رتبة الطاعة أو خارجين عنها وهم الفاسقين، والداخل فى طائفتهم السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضرا عندهم أو غائباً عنهم فهذه خمسة أقسام لذلك ذكرهم الله تعالى في هذه السورة خمس مرات (ياأيها الذين آمنوا) وأرشدهم فى كل مرة إلى مكرمة مع قسم من الأقسام الخمسة :

فالقسم الأول : يتعلق بجانب الله تعالى فقال : (ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله، وذكر الرسول لبيان طاعة الله لأنها لاتعلم إلا بقول رسول الله .

والقسم الثانى : يتعلق بجانب الرسول فقال : (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) لبيان وجوب احترام النبى صلى الله

عليه وسلم .

والقسم الثالث : يتعلق بجانب الفساق فقال : ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ) البيان وجوب الإحتراز عن الاعتماد على أقوالهم ، فإنهم يريدون إلقاء الفتنة بينكم لذلك جاء بعدها قوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...) وفي هذا القسم يتبين لنا مناسبة هذه الآية لما قبلها ومابعدها .

القسم الرابع : يتعلق بالمؤمن الحاضر فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم...) وقال : (ولاتنابزوا) لبيان وجوب ترك إيذاء المؤمنين في حضورهم والإزدراء بحالهم ومنصبهم .

القسم الخامس : يتعلق بالمؤمن الغائب فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) وقال: (ولاتجسسوا) وقال: (ولا يغتب بعضكم بعضا) لبيان وجوب الإحتراز عن إهانة المؤمن حال غيابه ، وهذا الترتيب بين الأقسام في غاية الحسن .

فإن اعترض على هذا الترتيب وقيل : لِم لَم يُذكر المؤمن قبل الفاسق لتكون المراتب متدرجة الإبتداء بالله ورسوله ، ثم بالمؤمن الحاضر ، ثم بالمؤمن الغائب ، ثم بالفاسق؟ نقول: قدّم الله ماهو الأهم على مادونه فذكر جانب الله، ثم ذكر جانب الرسول، ثم ذكر ما يفضي إلى الإقتتال بين طوائف المسلمين بسبب الإصغاء إلى كلام الفاسق .و الإعتماد عليه فذكر ماكان أشد تنفيرا أولا ، وأما المؤمن الحاضر أو الغائب فلا يؤذي المؤمن إلى حد يفضي إلى القتل. ألا ترى أن الله تعالى ذكر عقب نبأ الفاسق آية الإقتتال، فقال: (وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا) .

أسباب النزول :

أخرج ابن جرير من طريق سعيد عن قتادة قوله (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ) حتى بلغ (بجهالة) وهو ابن أبى معيط الوليد بن عقبة بعثه نبى الله صلى الله عليه وسلم مصدقا إلى بنى المصطلق فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث نبى الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق حتي أتاهم ليلا فبعث عيونه لما جاءوا أخبروا خالدا أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا آذانهم وصلاتهم . فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى الذى يعجبه فرجع إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فأنزل الله عز وجل ماتسمعون فكان نبى الله يقول التبين من الله والعجلة من الشيطان(١).

وروي الإمام أحمد، عن الحارث بن أبى ضرار الخزاعى رضى الله عنه قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به ، ودعانى إلى الزكاة فأقررت بها ، وقلت: يارسول الله أرجع إليهم ، فأدعوهم إلى الاسلام، وأداء الزكاة، فمن إستجاب لى جمعت زكاته ، وترسل إلىّ يارسول الله رسولا إبّان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة ، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذى أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليه، أحتبس عليه الرسول، ولم يأته ، وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة

(١) تفسير الطبرى : ٢٦/٧٩ .

من الله تعالى ورسوله ، فدعا بسروات قومه ، فقال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة ، فانطلقوا بنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (الوليد بن عقبة) إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق – أي خاف – فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :: يارسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه، وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث ، فقالوا :: هذا الحارث ، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك قال:: ولمَ ؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليك (الوليد بن عقبة) فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال رضي الله عنه :: لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيته بتة، ولا أتاني ، فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني .. وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خشيت أن يكون كانت سخطة من الله ورسوله .. فنزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ ..... إلى قوله حكيم(١).

(١) مختصر تفسير ابن كثير :: المجلد الثالث ص ٣٦٠-٣٦١.

معانى المفردات :

قوله تعالى : (إن جاءكم فاسق بنبإ)

الفاسق : الخارج عن طاعة ربه والعرب تقول إذا اخرجت الرطبة من قشرها : قد فسقت الرطبة من قشرها [١].

وسماه فاسقاً تنفيرا وزجرا عن المبادرة إلى الأمر من غير تثبت كما فعل هذا الصحابى الجليل لكنه مؤول ومجتهد فيما فعله فليس فاسقا حقيقة .

"قال الراغب : والفسق أعم من الكفر ويقع بالقليل من الذنوب وبالكثير لكن تعورف فيما كانت كثيرة ، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقربه ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضها ، وإذا قيل للكافر الأصلى فاسق فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة[٢]".

والظاهر أن المراد به هنا : المسلم المخل بشئ من أحكام الشرع أو المروءة بناء على مقابلته بالعدل وقد اعتبر العدالة عدم الإخلال بالمروءة

والنبأ : الخبر العظيم الشأن . وقال الراغب : ولايقال للخبر نبأ حتى يكون ذا فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة الظن[٣].

والتبين : التثبت فى الأمر والتأنى فيه[٤] واختلف القراء فى قراءة

(١) لسان العرب : ٣٠٨/١٠ .
(٢) ذكره الألوسى فى روح المعانى : ١٤٥/٢٦ .
(٣) روح المعانى : ١٤٥/٢٦ .
(٤) لسان العرب : ٦٨/١٣ .

قوله (فتبينوا) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة فتثبتوا بالثاء وذكر أنها فى مصحف عبد الله منقوطة بالثاء وقرأ ذلك بعض القراء فتبينوا بالياء، والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف.

وتنكير فاسق ونبأ : للتعميم لأنه نكرة فى سياق الشرط وهي كالنكرة فى سياق النفى تفيد العموم . فكأنه قيل : أى فاسق جاء بأى نبأ .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التى لايجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد إلا فى الندرة قال : (إن جاءكم) بحرف الشك ، وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق فى مخاطبتهم بكلمة زور .

قوله : (أن تصيبوا) تعليل للأمر بالتبين ، مفعول له أى فتبينوا كراهة أن تصيبوا أو لئلا تصيبوا .

بجهالة : جار ومجرور فى محل نصب حال من فاعل تصيبوا قوما حالة كونكم جاهلين حالهم .

نادمين : أى مغتمين غما لازما - فالندم . غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام علي ما وقع مع تمنى أنه لم يقع .

---

(١) تفسير أبى السعود ١١٧/٨ .

وقوله تعالى : (فتصبحوا على مافعلتم نادمين) فيه فائدتان ذكرهما الفخر الرازى فى تفسيره[١]:

(إحداهما) تقرير التحذير وتأكيده، ووجهه أنه تعالى لما قال (أن تصيبوا قوما بجهالة) قال بعده وليس ذلك مما لايتلفت إليه، ولايجوز للعاقل أن يقول : هب أنى أصبت قوما فماذا على؟ بل عليكم منه الهم الدائم والحزن المقيم ، ومثل هذا الشئ واجب الإحتراز منه.

(والثانية) مدح المؤمنين ، أى لستم ممن إذا فعلوا سيئة لا يلتفتون إليها بل تصبحون نادمين عليها .

قوله تعالى : (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلا تكذبوا ، فإن الله يعلمه أنبا ءكم فتفتضحون .

(لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) أى لو تسارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر لنالكم مشقة وإثم ، فإنه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة إليه لكان خطأ ، وتعنت من أراد إيقاع الهلاك بأولئك القوم لعداوة كانت بينه وبينهم .

ومعنى طاعة الرسول لهم : الإئتمار بما يأمرونه فيما يبلغونه عن الناس والسماع منهم[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب : ٢٨/١٢١ - ١٢٢ .
(٢) القرطبى : ١٦/ ٢٠٦ .

الإعراب :

قوله : (واعلموا أن فيكم رسول الله) عطف على ماقبله ، و(أن) بما في حيزها ساد مسد مفعولي (اعلموا) باعتبار ما بعده من قوله تعالى (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) فإنه حال من أحد الضميرين في "فيكم" الضمير المستتر المرفوع وهو ضمير الرسول أو البارز المجرور وهو ضمير المخاطبين .

وتقديم خبر (أن) للحصر المستتبع زيادة التوبيخ . والتعبير بالمضارع دون الماضي في قوله : (لو يطيعكم) ولم يقل أطاعكم وذلك لإفادة الديمومة والإستمرار على أن مايرونه صوابا وإن عليه كلما عنّ لهم رأى أو بدأت لهم في الأمور بداءة أن يخلد إليهم ويفعل ما يعتقدونه حقاً[1].

قوله : (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لايكذبون على النبي صلى الله عليه وسلم ولايخبرونه بالباطل أي جعل الإيمان أحب الأديان إليكم وزينه في قلوبكم بتوفيقه أي حسنه إليكم حتى أخترتموه .

وعلاقة قوله : (ولكن الله حبب إليكم الإيمان) بما قبله هي مرتبطة بها معنىً لا لفظا لأن الذين حبب الله إليهم الإيمان غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فهو استدراك من حيث المعنى فيكون المراد من السابقين: الذين اعتمدوا واستندوا على قول الفاسق وأرادوا العمل بمقتضاه .

---

(١) إعراب القرآن لمحي الدين الدرويش : ٩/٢٦٤ .

وبالآخرين المؤمنين الكاملين فى إيمانهم الذين لم يعولوا على خبر الفاسق وإنما تريثوا وتثبتوا لما فى قلوبهم من الإيمان الكامل .

وتقدير الكلام : ولكن الله حبب إلى بعضكم الإيمان وهم المخلصون الكاملون الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى .

قال الفخر الرازى : ومعنى قوله (حبب إليكم) أى قربه وأدخله فى قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لاتفارقونه ولايخرج من قلوبكم ، وهذا لأن من يحب أشياء فقد يمل شيئا منها إذا حصل عنده وطال لبثه والإيمان كل يوم يزداد حسنا ، ولكن من كانت عبادته أكثر وتحمله لمشاق التكليف أتم ، تكون العبادة والتكاليف عنده ألذ وأكمل ، ولهذا قال فى الأول (حبب إليكم) وقال ثانيا (وزينه فى قلوبكم) كأنه قربه إليهم ثم أقامه فى قلوبهم[1].

قوله عز وجل : (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) أى: وبغض إليكم الكفر والفسوق وهى الذنوب الكبار والعصيان وهى جميع المعاصى وهذا تدرج لكمال النعمة .

قوله تعالى : (أولئك هم الراشدون) أى المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد أتاهم الله عز و جل رشدهم .

وإسم الإشارة فى قوله (أولئك) إلى المؤمنين الكمل، والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فكأن الله تبارك و تعالى يبصره ما هم فيه.

---

(١) تفسير الفخر الرازى : ٢٨/ ١٢٤ .

(فضلا من الله ونعمة) أى هذا العطاء الذى منحكموه ، هو فضل منه عليكم، ونعمة من لدنه .

وقوله فضلا منصوب بالراشدين أو بحبب لأن الرشد والتحبب فضل منه ونعمة - وقيل مفعول به لفعل محذوف تقديره يبتغون فضلا .

(والله عليم حكيم) أى عليم بمن يستحق الهداية ، ممن يستحق الغواية ، حكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره . وختم الآية بقوله (والله عليم حكيم) فيه مناسبات عدة: منها أنه تعالى لما ذكر نبأ الفاسق ، قال إن يشبته علي المؤمن كذب الفاسق فلا تعتمدوا على ترويجه عليكم الزور ، فإن الله عليم .

وثانيهما : لما قال الله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم) بمعنى لا يطيعكم ، بل يتبع الوحى ، قال فإن الله من كونه عليما بعلمه ومن كونه حكيما يأمره بما تقتضيه الحكمة فاتبعوه .

ثالثها : المناسبة التى يبين قوله تعالى (عليم حكيم) وبين قوله حبب إليكم الإيمان) أى حبب بعلمه الإيمان لأهل الإيمان، واختار له من يشاء بحكمته .

رابعها: وهو الأقرب ، وهو انه سبحانه وتعالى قال : (فضلا من الله ونعمة) ولما كان الفضل هو ما عند الله من الخير المستغنى عنه ، قال تعالى هو عليم بما فى خزائن رحمته من الخير ، ولما كانت النعمة هو مايدفع به حاجة العبد، قال هو حكيم ينزل الخير بقدر مايشاء على وفق

الحكمة[١].

الفرق بين الكفر ، والفسوق ، والعصيان :

الكفر : تغطية نعم الله عز وجل وغمطها بالجحود .

والفسوق : الخروج عن قصد الإيمان بارتكاب الكبائر .

والعصيان : ترك الأنقياد والمضى لما أمر به الشارع .

وفى هذه الآية مبالغات من أوجه :

١- التعبير بالمضارع فى (يطيعكم) المفيد للإستمرار أو لتصوير هجنة ما كانوا عليه من التزيين وتوبيخهم بإرادة إستمرار ماحقه أن يكون مفروضا فضلاً عن الوقوع .

٢- التنكير فى قوله (إن جاءكم فاسق) والفائدة منه الشياع والشمول لأن النكرة إذا وقعت فى سياق الشرط عمَّت كما تعم إذا وقعت فى سياق النفى ، وفى هذا التنكير رد على من زعم أنها نزلت فى الوليد بن عقبة وهو من كبار الصحابة لأن إطلاق الفسوق عليه بعيد ، ذلك أن الفسوق هو الخروج من الشئ والإنسلاخ منه والوليد كما يذكرون ظن فأخطأ والمخطئ لايسمى فاسقا[٢].

٣- الطباق : وذلك فى قوله تعالى (حبب) و (كره) .

(١) الفخر الرازى : ١٢٦/٢٨ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ١١٩/٢٨ بتصرف .

المعنى الإجمالى :

يأمر الله تعالى بالتثبت فى خبر الفاسق ليحتاط له، وقد نهى الله عز وجل عن إتباع سبيل المفسدين .

ثم ذكرهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ومعهم فيجب أن يعظموه ويوقروه ويتأدبوا معه وينقادوا لأمره فإنه أعلم بمصالحهم وأشفق عليهم ، ورأيه فيهم أتم من رأيهم لأنفسهم كما قال الله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم[1]).

ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة الى مراعاة مصالحهم فلو أطاعهم فى جميع مايختارونه لأدى ذلك إلى عنتهم وحرجهم كما قال سبحانه وتعالى: (ولو أتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون[2]) .

ثم وصف الله تعالى المؤمنين المخلصين الذين لايكذبون النبى صلى الله عليه وسلم لايخبرونه بالباطل ، فقد حبب إليهم الإيمان وكره إليهم الكفر .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٦ .

(٢) سورة المؤمنون الآية : ٧١ .

الموضوع الرابع

امره تعالى بالإصلاح بين الفئتين المقتتلتين من المؤمنين

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

المناسبة :

لما حذر الله المؤمنين من النبأ الصادر من الفاسق ، أشار الى مايلزم منه إستدراكا لما يفوت ، فقال فإن اتفق أنكم تبنون على قوله من يوقع بينكم، وآل الأمر إلى قتال طائفتين من المؤمنين فأزيلوا ما أثبته ذلك الفاسق وأصلحوا بينهما .

اسباب النزول :

روى ابن جرير الطبرى من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه عن أنس رضى الله عنه - قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبى . قال فانطلق إليه وركب حمارا وانطلق المسلمون وهى أرض سبخة فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : إليك عنى فوالله لقد أذانى نتن حمارك . فقال رجل من الأنصار والله لنتن حمار رسول الله صلى اللهعليه وسلم أطيب ريحا . قال : فغضب لعبد الله بن أبى رجل من قومه . قال فغضب لكل واحد منهما أصحابه . قال : فكان

بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال فبلغنا أنها نزلت فيهم[١].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك عبد الله بن أبى بأنفه وقال: خل سبيل حمارك فقد أذانا نتنه : فقال عبد الله بن رواحة إن بول حماره لأطيب من مسكك ، وروث حماره أفضل منك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الأوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالأيدى والنعال والسعف فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم[٢].

وروى أن رجلا من الأنصار يقال له عمران ، كانت له امرأة تدعى أم زيد، وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها ، وجعلها فى علية له ، لايدخل عليها أحد من أهلها ، وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها ، لينطلقوا بها ، وإن الرجل كان قد خرج ، فاستعان أهل الرجل ، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال، فنزلت فيهم هذه الآية، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله تعالى[٣].

---

(١) تفسير الطبري : ٨١/٢٦ .

(٢) الكشاف : ١١/٤ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث ص ٢٦٣ .

معانى المفردات :

قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) .

(طائفتان) الطائفة: الجماعة والفرقة والمراد : جماعتان أو فرقتان .

قوله (من المؤمنين) ولم يقل منكم، ومع أن الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) تنبيها على قبح ذلك وتبعيدا أن يحصل ذلك منهم[١].

اقتتلوا : أى تقاتلوا . قال الزمخشرى : (فإن قلت) ماوجه قوله اقتتلوا والقياس أقتتلنا كما قرأ بن أبي عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير (قلت) هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لأن الطائفتين فى معنى القوم والناس[٢]. ثم حمل على اللفظ بعد ذلك فقال (بينهما) فى قوله تعالى :(فأصلحوا بينهما) والنكتة فى ذلك. أنهم فى حال القتال مختلطون مجتمعون فلذا جمع الضمير أولا، وفى حالة الصلح متميزون فلذا ثنى الضمير[٣].

ولأن عند الإقتتال تكون الفتنة قائمة . وكل أحد برأسه يكون فاعلا فعلا، فقال (اقتتلوا) وعند العودة إلى الصلح تتفق كلمة كل طائفة، والا لم يتحقق الصلح . فقال (بينهما) لكون الطائفتين حينئذ كنفسين[٤].

---

(١) الفخر الرازى : ١٢٧/٢٨ .

(٢) الكشاف : ١١/٤ .

(٣) روح المعانى : ١٥٠/٢٦ .

(٤) الفخر الرازى : ١٢٧/٢٨، ١٢٨ .

ومعنى فأصلحوا بينهما ، أى بالنصح والإرشاد والدعاء إلى حكم الله تبارك وتعالى .

قوله تعالى : (فإن بغت إحداهما على الأخرى) أى تعدت ولم تجب إلى حكم الله وكتابه ، ولم تتأثر بالنصيحة .

(حتى تفئ إلى أمر الله) أى حتى ترجع إلى الطاعة[١].

وحتى هنا : يجوز أن تكون للغاية ، فالنصب بأن مضمرة بعدها أى إلى أن .. ، ويجوز أن تكون بمعنى كى فتكون للتعليل والمعنى الأول هو الظاهر المناسب لسياق الآية .

والمقصود من قوله :(إلى أمر الله) :

- إلى طاعة الرسول وأولى الأمر لقوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)[٢].

- أو الى الصلح فإنه مأمور به يدل عليه قوله تعالى (فأصلحوا ذات بينكم)[٣].

- وقد يكون المقصود من أمر الله تعالى "التقوى" فإن من خاف الله حق الخوف لايستمر ويصر على عداوته لأحد إلا مع الشيطان كما قال تعالى: (إن الشيطان لكم عدو فأتخذوه عدوا)[٤].

---

(١) لسان العرب : ١٢٧/١ .
(٢) سورة النساء الآية : ٥٩ .
(٣) سورة الأنفال الآية : ١ .
(٤) سورة فاطر الآية : ٦ ، والمقصود من الآية أنظر الفخر الرازى ١٢٨/٢٨ بتصرف .

ومعنى قوله (فإن فاءت) : أى رجعت بقتالكم إياهم بعد إشتداد الأمر والتحام الحرب فأصلحوا بينهم .

قوله : (فأصلحوا بينهما بالعدل) أى أزيلوا الخلاف بينهما واقضوا على أسباب النزاع الواقع بينهما بإعطاء كل ذى حق حقه بالعدل .

وأقسطوا: أى وأعدلوا من أقسط الرباعى بخلاف قسط الثلاثي الذى معناه الجور يقال : قسط الرجل إذ جار ، وأقسط إذا عدل قال تعالى: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)(١).

والخطاب فى الآية لمن يتأتى منه الإصلاح ومقاتلة الباغى فمتى تحقق البغى من طائفة كان حكم إعانة المبغى عليه حكم الجهاد .

والأمر للوجوب : فيجب الإصلاح ويجب قتال الباغية ما قاتلت وإذا كفت وامتنعت عن الحرب تركت

ومن العدل فى صلحهم ألا يطالبوا بما جرى بينهم من دم ولا مال ، فلا يقتلوا أسيرا ولا يتبعوا مدبرا . وقد بيّن النبى صلى الله عليه وسلم حكمهم فيما رواه عبد الله بن عمر ، فقد قال عليه الصلاة والسلام لابن عمر: "ياعبد الله أتدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة؟ قال: الله ورسوله أعلم. فقال : لايُجهز على جريحها ولا يُقتل أسيرها ولايطلب هاربها ولا يقسم فيئُها"(٢).

---

(١) سورة الجن الآية : ١٥ .

(٢) تفسير القرطبى : ٢١٠/١٦ .

قال الزمخشري: ولاتخلوا الفئتان من المسلمين في اقتتالهما : إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة ، فإن لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغي صير إلى مقاتلتهما .

وإما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب إزالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة وإطلاعهما على مراشد الحق . فإن ركبتا اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا إليه ونُصحتا به من إتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين .

وإما أن تكون إحداهما الباغية على الأخرى فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب فإن فعلت أصلح بينهما وبين المبغى عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل :

إن كانت الباغية من قلة العدد بحيث لامنعة ضمنت بعد الفيئة ما جنت، وإن كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن ، إلا عند محمد بن الحسن رحمه الله فإنه كان يفتي بأن الضمان يلزمها إذا فاءت . وأما قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها ، فما جنته ضمنته عند الجميع، فحمل الإصلاح بالعدل في قوله تعالى : (فأصلحوا بينهما بالعدل) على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل. وعلى قول غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذين ذكروا أن الغرض إماتة الضغائن وسل الأحقاد دون ضمان الجنايات، ليس بحُسن

الطباق المأمور من أعمال العدل ومراعاة القسط[١].

والذى أميل إليه أن الضمان يلزم الفئة الباغية سواء كانت قليلة العدد ، أم كانت كثيرة العدد ، فما جنته ضمنته .

وسر تقييد الصلح هنا بالعدل في قوله . (فأصلحوا بينهما بالعدل) ولم يذكر العدل في قوله: (وإن طائفتان من المؤمنين أقتتلوا فأصلحوا بينهما) قال الفخر الرازى : لأن الإصلاح هناك بإزالة الإقتتال نفسه، وذلك يكون بالنصيحة أو التهديد والزجر والتعذيب، والإصلاح هنا بإزالة آثارالقتل بعد اندفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال (بالعدل) فكأنه قال: واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق وأصلحوا بالعدل مما يكون بينهما ، لئلا تؤدى إلىثوران الفتنة بينهما مرة أخرى[٢].

قوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) هذا إستئناف مقرر لما قبله من الأمربالإصلاح، وإلغاء فى (فأصلحوا بين أخويكم) للإيذان بأن الأخوة الدينية موجبة للإصلاح[٣].

قال بعض أهل اللغة: الأخوة جمع الأخ من النسب، والأخوان: جمع الأخ من الصداقة[٤]، والمقصود هنا : إخوة فى الدين .

---

(١) الكشاف : ٤/١١ – ١٢ .
(٢) تفسير الفخر الرازى : ٢٨/١٢٨ ، ١٢٩ .
(٣) تفسير أبى السعود : ٨/١٢٠ .
(٤) تفسير الفخر الرازى : ٢٨/١٢٩ .

وإطلاق إخوة على المؤمنين من باب التشبيه البليغ وشبهوا بالإخوة من حيث إنتسابهم إلى أصل واحد وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية .

ويجوز أن يكون إستعارة وتشبيه المشاركة فى الإيمان بالمشاركة فى أصل التوالد لأن كلا منهما أصل للبقاء إذ التوالد منشأ الحياة والإيمان منشأ البقاء الأبدى في الجنان ، وحذف المشبه به : وهو المشاركة فى التوالد ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الأخوة على سبيل الإستعارة بالكناية .

قوله تعالى : (واتقوا الله) أى فيما تؤمرون به وما تنهون عنه والتى، من جملتها ما أمرتم به من الإصلاح . وهو إما أن يكون تذييلا للآية مقرر لما قبله من الأمر بالإصلاح، وإما أن يكون معطوفا على "فأصلحوا" أى واصلحوا بين أخويكم بالصلح واحذروا الله تبارك وتعالي من أن تتهاونوا فيه .

وقوله تعالى : (لعلكم ترحمون) :

لعل : إما أن تكون للتعليل، والمعنى : لأجل أن ترحموا على تقواكم، أو للترجى : والمعنى: افعلوا ذلك راجين أن ترحمواعليها ، ولعل من الله فى هذا المقام إطماع من الله الكريم الرحيم .

إذ الإطماع فعل ما يطمع فيه لامحالة ، وترغيب لهم فى المسارعة إلي ما أمروا به من الإصلاح بين بعضهم ، وهذا وعد من الله تبارك وتعالى محقق الحصول بالرحمة لمن اتقاه .

المعنى العام للآيتين :

فى هاتين الآيتين الكريمتين يبين الله تعالى كيفية الإصلاح بين المؤمنين إذا نشب بينهم نزاع . يقول جل ذكره وإن طائفتان من أهل الايمان اقتتلوا فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل، فإن أبت إحدى الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله وتعدّت وأجابت الأخرى منهما، فقاتلوا التى تعتدى وتأبى الإجابة إلى حكم الله حتى ترجع إلى حكم الله، فإن رجعت الفئة الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله فى كتابه فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخري التى قاتلتها بالعدل والإنصاف .

فقد أمرنا الله تعالى بتحرى العدل فى جميع أمورنا وما يعترضنا من قضايا ومشكلات وما يصادفنا من منازعات وخصومات دون أن نتحيز الى صديق أو قريب أو نجور على عدو قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين..[١]، وقال تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)[٢].

وكما أمرنا الإسلام بالعدل نهانا عن الظلم وحذرنا من إرتكابه يقول الله تبارك وتعالى فى حديث قدسى "ياعبادى إنى حرمت الظلم على

---

(١) سورة النساء الآية : ١٣٥ .
(٢) سورة النساء الآية : ٥٨ .

نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا"[١].

وقد أكد الله تعالى على إزالة البغضاء والشحناء، وحقن الدماء، وتحقيق المودة والصفاء بين المؤمنين ذلك لأنهم إخوة قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) فالجميع إخوة فى الدين . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه"، وقال صلى الله عليه وسلم : "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٢] لذلك أمر سبحانه بالإصلاح بين الفئتين المقتتلتين فقال (فأصلحوا بين أخويكم). ثم ذيل الآيتين بالترغيب فى السعى من أجل الصلح .

وفى فضل الإصلاح بين الناس بالقسط يقول تعالى : (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين)[٣]، وروى عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "المقسطون عند الله تبارك وتعالى يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا"[٤].

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه – كتاب البروالصلة والآداب . باب تحريم الظلم ١٣٢/١٦ بشرح النووى .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه – كتاب البروالصلة والآداب . باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ١٤٠/١٦ بشرح النووى .

(٣) سورة المائدة الآية : ٤٢ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الإمارة . باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والبث على الرفق ٢١١/١٢ بشرح النووى .

ولهذا ينبغي على كل مؤمن إذا رأى نزاعا بين طائفتين أو خلافا وقع بين اثنين فليبادر إلى إزالة الخلاف والشقاق وليكن شعاره في ذلك تقوى الله عز وجل ، وطلب رضاه لتعمنا رحمته ويغمرنا فضله ومغفرته.

الموضوع الخامس

النهي عن السخرية بالناس واللمز والتنابز بالألقاب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

اسباب النزول :

إختلف العلماء في سبب نزول صدر هذه الآية ، فقال ابن عباس : نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنه وقر، فإذا سبقوه إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم أوسعوا له إذا أتى حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي صلي الله عليه وسلم، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أخذ أصحابه مجالسهم منه، فربض كل رجل منهم بمجلسه ، وعَضُّوا فيه فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لايجد مجلسا فيظل قائما ، فلما أنصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول : تفسحوا ، تفسحوا ، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له: تفسح، فقال له الرجل " قد وجدت مجلسا فاجلس ! فجلس ثابت من خلفه مُغضبا ، ثم قال : من هذا؟ قالوا : فلان، فقال ثابت: ابن فلانة يعيره بها ، يعني أما له في الجاهلية، فاستحيا الرجل، فنزل قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم ... الآية) .

وقال الضحاك : نزلت فى وفد بنى تميم الذى تقدم ذكرهم فى أول السورة استهزؤوا بفقراء الصحابة ، مثل عمار وخباب وابن فُهيرة وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم ، فنزلت فى الذين آمنوا منهم .

وقال مجاهد : هو سخرية الغنى من الفقير.

وقال ابن زيد : لايسخر من ستر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله، فلعل إظهار ذنوبه فى الدنيا خير له فى الآخرة .

وقيل : نزلت فى عكرمة بن أبى جهل حين قدم المدينة مسلما ، وكان المسلمون إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت[١] .

أقول ومهما اختلف السبب فمن جملتها يتبين لنا أن هذه الآية نهى من الله تعالى لعباده ألا يستهزئ أحد من أحد إذا رآه رث الحال، أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبق فى حديثه أو فقير الحال، فلعله أخلص ضميراً وأنقى قلبا ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله، والإستهزاء بمن عظمه الله .

ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم من ذلك فعن عبد الله بن مسعود قال: البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا .

---

(١) هذه الأسباب ذكرها القرطبى في تفسيره : ٢١٣/١٦ .

أما قوله تعالى : (ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) ، قال المفسرون فى سبب نزولها: أنها نزلت فى امرأتين من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت خصريها بسبيبة - وهى ثوب أبيض - وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها ، فقالت عائشة لحفصة رضى الله عنهما : أنظرى ! ماتجر خلفها كأنه لسان كلب[1].

وعن أنس وابن زيد : نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم، عيرن أم سلمة بالقصر. وقيل نزلت فى عائشة أشارت بيدها إلى أم سلمة. يانبى الله إنها لقصيرة[2].

وأستبعد حصول ذلك من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهن أمهات المؤمنين وزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بينهن معلم ومؤدب ولاشك أنهن تخلقن بأخلاق النبوة ولكن على فرض صحة الروايات فهن بشر يصبن ويخطئن، وكثيرا ما نسمع ونشاهد العديد من المكايد التى تنشأ بين الزوجات بسبب الغيرة ، وقد صرح القرآن الكريم فى سورة التحريم بعتاب النبى صلى الله عليه وسلم وذلك فى قوله تعالى: "ياأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم)[3]. فقد ورد ان هذه الآية نزلت فى تحريمه العسل، روى عن عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يخبر أنه سمع عائشة تخبر أن

---

(١) تفسير القرطبى : ٢١٤/١٦ .
(٢) الفتوحات الالهية : ١٨١/٤
(٣) سورة التحريم الاية : ١ .

النبى صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا. قالت: فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فلتقل إنى أجد منك ريح المغافير[١].

أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له فقال : بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت[٢]. فقد أثبتت هذه الرواية أن عائشة وحفصة تظاهرتا على زينب بن جحش وذلك بسبب الغيرة فلا نستبعد ذلك علي زوجات النبى صلى الله عليه وسلم .

أما عن سبب نزول قوله تعالى: (ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان..) فقد روى أنها نزلت فى صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن النساء يقلن لى يايهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام هلا قلت ان أبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام[٣].

وروى ابن جرير الطبرى من طريق أبو جبيرة بن الضحاك قال: نزلت فى بنى سلمة (ولاتنابزوا بالألقاب) قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله إسمان أو ثلاثة فكان يدعو الرجل فتقول أمه إنه يغضب من هذا فنزلت[٤].

---

(١) المغافير : صمغ يسيل من شجر العرفط غير أن رائحته ليست بطيبة.لسان العرب : ٢٨/٥.
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الرضاع . باب : وجوب الكفارة على من حرم أمرأته ولم ينو الطلاق ١٠/٧٣-٧٤ بشرح النووى .
(٣) تفسير أبى السعود : ١٢١/٨ .
(٤) تفسير الطبرى : ٨٤/٢٦ .

معانى المفردات :

لايسخر : قال الأخفش : سخر منه وبه وضحك منه وبه وهزئ منه وبه كل يقال ، والإسم (السُخْرية) بوزن العُشْرية و (السِّخْرِى) بضم السين وكسرها وقرئ بهما قوله تعالى : (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)[١].

وقال ابن كثير :"السخرية بالناس هو احتقارهم واستصغارهم والإستهزاء بهم"[٢].

وقال الإمام الغزالى "معنى السخرية الإستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاه فى الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيمان"[٣].

(قوم) القوم : الجماعة من الرجال والنساء جميعا.

وقيل : هو للرجال خاصة دون النساء، ويقوى ذلك قوله تعالى : (ولانساء من نساء) فلو كانت النساء من القوم لم يقل ولانساء من نساء.[٤] وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن نسّانى الشيطان شيئاً من صلاتى فليسبح القوم وليصفق النساء"[٥].

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٣٢ ، والمعنى من مختار الصحاح ص ٢٩٠ .
(٢) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث ص ٣٦٣ .
(٣) احياء علوم الدين : ٣/١٤٠ .
(٤) لسان العرب : ١٢/٥٠٥ .
(٥) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٢/٥٤١ .

قال ابن الأثير : القوم في الأصل مصدر قام ثم غلب على الرجال دون النساء، ولذلك قابلهن به ، وسموا بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمور التى ليس للنساء أن يقمن بها(١).

وقوم كل رجل : شيعته وعشيرته . وروى عن أبى العباسى : النفر والقوم والرهط هؤلاء معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء(٢).

وتنكير القوم والنساء يحتمل معنين :

إما للتعميم : فكل جماعة منهم منهية عن السخرية .

وإما للقصد : أى لايسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وسبب إختيار الجمع فلم يقل رجل ولا امرأة من امرأة لإحتمال الأمور التالية(٣):

١- الإعلام بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية .

٢- استفظاعا للشأن الذى كانوا عليه .

٣- ولأن مشهد الساخر لايكاد يخلوا ممن يتلهى ويضحك على قوله فهو شريك للساخر ويأثم مثله، وبذلك حصل الجمع.

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والآثر لابن الأثير : ١٢٤/٤ .
(٢) لسان العرب : ٥٠٥/١٢ .
(٣) راجع الكشاف للزمخشرى : ١٣/٤ بتصرف .

٤- وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ولاينكره فيؤدي ذلك وإن أوجده واحد إلى كثرة الساخرين وانقلاب الواحد جماعة وقوما .

قوله تعالى : (عسى أن يكونوا خيرا منهم) كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهى عنه . وإلا فقد كان من حقه أن يوصل بما قبله بالفاء ، والمعنى: وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لأن الناس لايطلعون إلا على ظواهر الأحوال، ولا علم لهم بالخفيات فينبغى أن لايجترئ أحد على الإستهزاء بالناس .

قوله تعالى : (ولانساء من نساء) قيل أفرد النساء بالذكر لأن السخرية منهن أكثر .

قوله : (ولاتلمزوا أنفسكم) أى لاتلمزوا الناس، قال ابن عباس ومجاهد : قوله (ولاتلمزوا أنفسكم) أى لايطعن بعضكم على بعض[١].

والمعنى : لايعب بعضكم بعضا كما قال تعالى : (فاقتلوا أنفسكم) كأن المؤمنين نفس واحدة إذ هم إخوة كالبنينان يشد بعضه بعضا وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائره بالسهر والحمى .

فمن عاب أخيه المؤمن فكأنما عاب نفسه .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث ص ٣٦٣ .

ويمكن أن يكون المعنى : لاتفعلوا ماتلمزون به لأن من فعل ما إستحق اللمز فقد لمز نفسه، فمن تسبب فى شئ جاز أن ينسب إليه ذلك الشئ وذلك نحو قول النبى صلى الله عليه وسلم: (من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال : نعم . يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه"[١].

الفرق بين الهمز واللمز :

- اللمز بالقول والإشارة ونحوه مما يفهمه آخر ، والهمز لايكون إلا باللسان[٢].

- وقال أبو العالية: الهمز بالمواجهة واللمز بظهر الغيب[٣].

- وقال الحسن : الهُمزة الذى يهمز جليسه يكسر عليه عينه واللمزه الذى يذكر أخاه بالسوء ويعيبه[٤].

أقول : إن هذه الآراء متقاربة وترجع إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب والدافع على ذلك إما الحسد والحقد وإما من أجل الهزل كما يكون عند السخرية والإضحاك .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الإيمان . باب الكبائر ٨٣/٢ شرح النووى.
(٢) أنظر تفسير ابن حيان فى البحر المحيط : ١١٣/٨ .
(٣) الفخر الرازى : ٩٢/٣٢ بتصرف .
(٤) المرجع السابق .

الفرق بين السخرية واللمز :

قال الألوسي : السخرية : إحتقار الشخص مطلقا على وجه مضحك بحضرته ، واللمز التنبيه على معايبه سواء كان على وجه مضحك أم لا ؟ وسواء كان بحضرته أم لا ، وجعل عطفه عليه من قبيل عطف العام على الخاص وقال: وقيل السخرية الإحتقار ، واللمز التنبيه على المعايب أو تتبعها والعطف من قبيل عطف العلة على المعلول، وقيل اللمز مخصوص بما كان من السخرية على وجه الخفية كالإشارة فهو من قبيل عطف الخاص على العام لجعل الخاص كجنس آخر مبالغة[1].

قوله تعالى: (ولاتنابزوا بالألقاب).

النَبَزُ بالتحريك : اللقب ، والجمع : الأنباز .

والنبْزُ بالتسكين : المصدر . تقول : نبزه ينبزه نبزاً أي لقبه ، والتنابز: التداعي بالألقاب[2] مطلقاً: حسنا كان أو قبيحاً وخص في العرف بالقبيح، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس انه قال : التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب منها وراجع الحق فنهى الله تعالى أن يعير بما سلف من عمله وأخرج عن معمر قال: قال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيلقب فيقال له يايهودي يانصراني فنهوا عن ذلك[3].

---

(١) الألوسي ١٥٣/٢٦ .

(٢) لسان العرب : ٤١٣/٥ .

(٣) تفسير الطبري : ٨٤/٢٦ .

قوله تعالى :(بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان)

الإسم : بمعنى الذكر من قولهم طار إسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم[١].

قال الزمخشرى[٢]: وفى قوله (بعد الإيمان) ثلاثة أوجه : أحدهما: إستقباح الجمع بين الإيمان و بين الفسق الذى يأباه الإيمان ويحظره.

والثانى : أنه كان فى شتائمهم لمن أسلم من اليهود يايهودى يافاسق فنهوا عنه ، وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه، والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز .

الثالث : أن يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة .

قوله تعالي : (ومن لم يتب) أى عما نهى الله عنه (فأولئك هم الظالمون) لإرتكابهم مانهى الله عنه وإمتناعهم عن التوبة، فظلموا من لقبوه، وظلموا أنفسهم بما لزمها من الإثم .

---

(١) تفسير أبى السعود : ١٢١/٨ .
(٢) فى الكشاف : ١٤/٤ .

المعنى العام :

فى هذه الآية الكريمة ينهى الله سبحانه وتعالى عن السخرية بالناس وهو إحتقارهم واستصغارهم والإستهزاء بهم. فلعل المسخور بهم خير وأفضل عند الله وأحب إليه من الساخرين، وذلك لأن القيم الظاهرة التى يراها الرجال فى أنفسهم ويراها النساء فى أنفسهن ليست هى القيم الحقيقية ، والتي يوزن بها الناس . فهناك قيم أخرى ، قد تكون خافية عليهم ، ويعلمها الله ، ويزن بها العباد. وقد يسخر الرجل الغنى من الرجل الفقير. والرجل القوى من الرجل الضعيف . وقد يسخر الذكى الماهر من الساذج الخام . وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم ، وذو العصبية من اليتيم .. وقد تسخر الجميلة من القبيحة ، والشابة من العجوز ، والمعتدلة من المشوهة ، والغنية من الفقيرة ... ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هى المقياس ، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين.

فعن سهل قال : مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ماتقولون فى هذا ؟ قالوا: حرى إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يستمع . قال: ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا حرى إن خطب لاينكح ، وإن شفع أن لايشفع، وإن قال أن لايسمع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من ملئ الأرض مثل هذا[1].

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب النكاح . باب الأكفاء فى الدين ١٩/١٦٣ ، ١٦٤ فتح الباري .

ومن السخرية اللمز والتنابز التى يكرهها أصحابها، ويحسون فيها سخرية وعيبا. ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزرى به . ومن أدب المؤمن ألا يؤذى أخاه بمثل هذا وقد غير الرسول صلى الله عليه وسلم أسماء وألقاباً كانت فى الجاهلية تزرى بأصحابها ، أو تصفهم بوصف ذميم .

وقد اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره سواء كان صفه له أو لأبيه أو لأمه أو غيرها .

ويعلم من الآية أن التلقيب ليس محرما على الإطلاق بل المحرم ما كان بلقب السوء ، وقد صرحوا بأن التلقيب بالألقاب الحسنة مما لاخلاف فى جوازه .

وقد لقب أبو بكر رضى الله عنه بالعتيق لقوله عليه الصلاة والسلام له "أنت عتيق الله من النار" .

وعمر رضى الله عنه بالفاروق لظهور الإسلام يوم إسلامه .

وحمزة رضى الله تعالى عنه بأسد الله لأن إسلامه كان حمية فاعتز الإسلام به وخالد بن الوليد بسيف الله لقوله صلى الله عليه وسلم : نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله .

إلى غير ذلك من الألقاب الحسنة ، وألقاب علىّ كرم الله وجهه أشهر من أن تذكر، ومازالت الألقاب الحسنة فى الأمم كلها من العرب والعجم تجرى فى مخاطبتهم ومكاتبتهم من غير نكير .

ويستثنى من هذا النهى دعاء الرجلُ الرجلَ بلقب قبيح فى نفسه لاعلى قصد الإستخفاف به والإيذاء له كما إذا دعت له الضرورة لتوقف معرفته كقول المحدثين : سليمان الأعمش وواصل الأحدب ، والأعرج .

ثم عقب الله تعالى هذا النهى - وهو السخرية واللمز والتنابز بالألقاب - بالتحذير والتخويف من الوقوع فيه فقال تعالى : (بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان) فهو شىء يشبه الإرتداد عن الإيمان .

ثم ختم الله تعالى هذه الآية الكريمة بالتهديد مبينا أن من أصر على إرتكاب هذه النواهى ولم يقلع عما نهاه الله عنه من السخرية بالعباد والإستهزاء بهم ولمزهم وعيبهم فقد تعدى وظلم غيره وظلم نفسه بتعريضها للعقاب وإلى غضب الله وسخطه قال تعالى (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

اسباب النزول :

قيل : إنها نزلت فى رجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إغتابا رفيقهما . وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج الى الرجلين الموسرين فيخدمهما . فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهئ لهما شيئا ، فجاءا فلم يجدا طعاما وإداما ، فقالا له : إنطلق فاطلب لنا من النبى صلى اله عليه وسلم طعاما وإداما ، فذهب فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: "إذهب إلى أسامة بن زيد فقل له إن كان عندك فضل من طعام فليعطيك" وكان أسامة خازن النبى صلى الله عليه وسلم: فذهب إليه ، فقال أسامة : ماعندى شئ، فرجع إليهما فأخبرهما، فقالا : قد كان عنده ولكنه بخل. ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا

فقالا : لو بعثنا سلمان إلى بئر سُمَيحة لغار ماؤها ، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شىء، فرآهما النبى صلى الله عليه وسلم فقال: "مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما" فقالا: يانبى الله، والله ما أكلنا فى يومنا هذا لحما ولاغيره. فقال : ولكنكما ظلتما تأكلان لحم سلمان وأسامة" فنزلت الآية[1]. أى لاتظنوا بأهل الخير سوءاً إن كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير.

---

(١) تفسير القرطبى : ٢١٦/١٦ ، ٢١٧ .

معانى المفردات :

إجتنبوا : إبتعدوا وإنتهوا .

الظن : هو التهمة من غير دليل . قال القرطبى : قال علماؤنا: الظن فى الآية هو التهمة ومحل التحذير والنهى إنما هو تهمة لاسبب لها يوجبها كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك. ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله بعد هذا (ولاتجسسوا) وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه ، ويتبصر ويستمع لتحقيق ماوقع له من تلك التهمة فنهى الله تعالى عن ذلك[١] والتعبير بقوله تعالى: (اجتبوا كثيرا من الظن) لوجوب الإحتياط والتأمل فى كل ظن حتى يعلم أنه من أى قبيل .

وللظن أنواع :

فإن من الظن مايجب إتباعه كالظن الحسن بالله تعالى ومنه مايحرم كالظن فى الإلهيات والنبوات ، وظن السوء بالمؤمنين ومنه مايباح كالظن فى الأمور المعاشية[٢].

وأما الظن بالسوء بأهل الفسق المجاهرين بفسقهم فليس بحرام . وقوله تعالى: "إن بعض الظن إثم" تعليل للأمر بالإجتناب . والإثم : الذنب الذى يستحق العقوبة عليه.

قوله تعالى : (ولاتجسسوا) أى لا يتتبع بعضكم عورة بعض

---

(١) تفسيرالقرطبى : ١٦/ ٢١٧ .

(٢) تفسير أبى السعود : ١٢٢/٨ .

ولايبحث عن سرائره يبتغى بذلك الظهور على عيوبه ، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره وبه فاحمدوا أو ذموا لاعلى مالا تعلمونه من سرائره. وروى عن ابن عباس قال: نهى الله المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن. وقال مجاهد : خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله[1].

وقرئ ولا تجسسوا بالحاء واختلف فى معناهما :

قيل : كلاهما بمعنى واحد فى تطلب معرفة الأخبار .

يقال : تجسست الخبر وتحسسته .

وقيل بينهما فرق : فالتجسس (بالجيم) هو البحث، ومنه قيل : رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور . (وبالحاء) هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه .

وقيل : التجسس بالجيم أن يطلبه لغيره ، وبالحاء أن يطلبه لنفسه .

وقيل بالجيم : البحث عن العورات ، وبالحاء الإستماع[2]. والمختار أن المراد من القراءتين النهى عن تتبع العورات مطلقاً .

قوله تعالى :(ولايغتب بعضكم بعضاً) أى لايذكر بعضكم بعضاً بمايكره فى غيبته ، وقد فسرها الشارع كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا:

---

(١) تفسير القرطبى : ٨٦/١١ .

(٢) لسان العرب : ٦/ ٣٨ بتصرف .

الله ورسوله أعلم . قال: "ذكرك أخاك بما يكره" قيل " أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال صلى الله عليه وسلم : "إن كان فيه ماتقول فقد إغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته"(١).

وقال الحسن : " الغيبة ثلاثة أوجه كلها فى كتاب الله تعالى : الغيبة والإفك والبهتان .

فأما الغيبة : فهى أن تقول فى أخيك ما هو فيه وأما البهتان : فان تقول فيه ماليس فيه"(٢).

قوله تعالى : (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) إستعارة تمثيلية فيها تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب علي أفظع وجه وأفحشه . فقد شبه من يغتاب غيره بمن يأكل لحم أخيه ميتا وفيها مبالغات :

أولها : الإستفهام الذى معناه التقرير المفيد للتوبيخ كأنها أمر مفروغ منه مبتوت فيه .

وثانيها : تعليق المحبة : بما هو فى غاية الكراهة .

وثالثها : إسناد الفعل إلى كل أحد للإشعار بأن أحدا من الأحدين لايحب ذلك .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم الغيبة ١٤٢/١٦ شرح النووى.

(٢) ذكره القرطبى فى تفسيره : ٢١٩/١٦ .

ورابعها : أنه لم يقتصر على تمثيل الإغتياب بأكل لحم الإنسان وهو أكره اللحوم وأبعثها على التقزز حتى جعل الانسان أخا .

وخامسها : أنه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتا .

قال أبو حيان :، "قال أبو زيد السهيلي ضرب المثل لأخذه العرض بأكل اللحم لأن اللحم ستر على العظم والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستر وقال تعالى : ميتا لأن الميت لايحس وكذلك الغائب لايسمع مايقول فيه المغتاب ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت. إنتهى"(١).

والهمزة فى (أيحب) للإستفهام التقريرى ، ويحب فعل مضارع مرفوع . وأحدكم : فاعل . وأن ومافى حيزها مفعول يحب . وميتا : حال من اللحم . ويجوز أن ينصب حال من الأخ .

قال القرطبى : "ولما قررهم عز وجل بأن أحد منهم لايحب أكل جيفة عقب ذلك بقوله تعالى : (فكرهتموه) . وفيه وجهان :

أحدهما : فكرهتم أكل الميتة فكذلك فاكرهوا الغيبة .

الثانى : فكرهتم أن يغتابكم الناس فاكرهوا غيبة الناس .

وقال الفراء : أى فقد كرهتموه فلا تفعلوه . وقيل لفظه خبر ومعناه

---

(١) تفسير البحر المحيط : ٨/١١٥ .

أمر ، أى أكرهـوه"[١] قال الألوسى : "وعبر بالماضى للمبالغة[٢].

وقيل : الفاء فصيحة فى جواب شرط مقدر ويقدر معه قد أى إن صح ذلك أو عـرض عليكم هذا فـقـد كـرهتـمـوه ولا يمكنكم إنكار كراهته[٣].

وكرهتموه : فعل وفاعل ومفعول به .

وقوله تعالى : (واتقوا الله) عطف على ما تقدم من الأوامر والنواهى أى إمتثلوا لماقيل لكم وإتقوا الله .

قال الفخر الرازى : "وفى الآية لطائف : منها أن الله تعالى ذكر في هذه الآية أمورا ثلاثة مرتبة بيانها ، هو أنه تعالى قال ((اجتنبوا كثيرا)) أى لاتقولوا فى حق المؤمنين مالم تعلموه فيهم بناء على الظن، ثم إذا سئلتم على المظنونات ، فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنستيقنها قبل ذكرها ، ثم إن علمتم منها شيئا من غير تجسس ، فلا تقولوه ولا تفشوه عنهم ولا تعيبوا ، ففى الأول نهى عما لم يعلم ، ثم نهى عن طلب ذلك العلم[٤]، ثم نهى عن ذكر ماعلم" وهذا الترتيب يشعرنا أن الظن يقود إلى التجسس ، فإذا تم التجسس حصلت الغيبة .

وقوله تعالى : (إن الله تواب رحيم) تعليل للأمر بالتقوى أى لأنه

---

(١) تفسير القرطبي : ٢٢٢/١٦ .
(٢) روح المعانى : ١٥٩/٢٦ .
(٣) المرجع السابق : ١٥٨/٢٦ .
(٤) تفسير الفخر الرازى : ١٣٦/٢٨ .

تعالى تواب رحيم لمن اتقى واجتنب ما نهى عنه وتاب مما فرط منه[١].

وقيل : تواب رحيم : أى مبالغ فى قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم[٢].

المعنى العام

إشتملت هذه الآية الكريمة على آداب وأحكام هامة وسامية ، وفيها تعليم للناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم ؛ وذلك من أجل إقامة مجتمع فاضل يسوده الحب والوئام .

فقد بدأت الآية بهذا النداء المحبب إلى النفوس فقال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا) ففى هذا النداء إستمالة لقلوبهم واستدراجاً لهم كى يقبلوا على الأوامر والنواهى بنفس راضية .

ثم نهت المؤمنين عن ظن السوء بأحد وعن التجسس وتتبع عورته ، وعن ذكره بما يكره فى غيبته مع ضرورة الإلتزام بتقوى الله .

وكثير من العلماء لا يرون العبادة الحقة فى كثرة الصلاة والصيام - إذ ليس فيها مشقة ، وقد يقوم بها البر والفاجر ، وخصوصا إذا ما اعتادها منذ الصغر - وإنما يرونها فى الكف عن أعراض الناس .. وهذا هو التعبد الحقيقى الذى يحتاج إلى جهاد النفس .

---

(١) روح المعانى : ١٥٩/٢٦ .

(٢) تفسير أبى السعود : ١٢٢/٨ .

وهناك أمور تتعلق بالغيبة :

أولاً : بواعث الغيبة وعلاجها :

لكى نعالج هذا المرض الخطير الذى يهلك صاحبه ويفسد علاقته بالآخرين لابد أن نعرف الباعث عليها والذى لايخرج عن البواعث الآتية[1]:

١- الحقد والغضب والحسد الذى يؤدى إلى إظهار عيوب المغتاب فيه.

٢- موافقة الجلساء ومجاملتهم .

٣- تمضية الوقت والتسلية .

٤- تزكية النفس بتنقيص الغير .

وبمعرفة الباعث على الغيبة يسهل العلاج الذى يتمثل فى الآتى :-

١- العلم بغضب الله على المغتاب ، وأنه تبارك وتعالى يعاقبه على الغيبة . فقد تكون الغيبة أشد من الزنا والدليل على ذلك ما روى عن الحافظ أبو يعلى . عن ابن عمر أن ماعزا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله قد زنيت ، فأعرض عنه ، حتى قالها أربعة، فلما كان فى الخامسة . قال: "زنيت؟" قال : نعم ، قال: "وتدرى ما الزنا؟" قال : نعم أتيت منها حراما ما يأتى الرجل من امرأته حلالا ،

---

(١) إذا أردت المزيد من التفصيل والإسهاب فارجع إلى إحياء علوم الدين للإمام الغزالى : ١٥٥/٣ - ١٥٩ .

قال: ما تريد إلى هذا القول ؟ قال : أريد أن تطهرنى ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أدخلت ذلك منك فى ذلك منها، كما يغيب الميل فى المكحلة والرشا فى البئر؟" قال : نعم يارسول الله، قال ، فأمر برجمه فرُجم، فسمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه : ألم تر إلى هذا الذى ستر الله عليه ، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم حتى مر بجيفة حمار ، فقال : "أين فلان وفلان" إنزلا فكلا من جيفة هذا الحمار" قالا: غفر الله لك يارسول الله، وهل يؤكل هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم: "تلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه ، والذى نفسى بيده إنه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها"(١).

ومن هنا نرى أن الله تعالى يغفر للزانى لأن الزنا حق متعلق بالله تعالى . وقد يتوب الزانى ويغفر الله توبته . أما المغتاب إن تاب فلابد لقبول توبته أن يسامحه من وقع فى عرضه له .

٢- وللبعد عن الغيبة أيضاً الإنشغال بعيوب نفسه عن عيوب الغير.. ورحم الله امرءاً شغلته عيوبه عن عيوب الناس .

٣- البحث فى النفس عن الباعث على الغيبة ومحاولة دفعه فإن كان الباعث هو إشفاء الغيظ، وإنفاذ الغضب، فليحذر أن ينفذ الله غضبه

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره . المجلد الثالث ص ٣٦٦ من مختصر تفسير ابن كثير . وقال: أخرجه الحافظ أبو يعلى واسناده صحيح .

فيه، وليعلم أن الله يرحم من عباده الرحماء ، وعليه بكظم غيظه ، والعفو ، والصفح ، وليتذكر قول الله تعالى : (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم)[١].. وقوله تعالى :(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)[٢] .. وإن كان الباعث هو مجاملة الجلساء فليعلم أنه شريك فى الإثم ولو لم يشترك فى الغيبة.. قال النبى صلى الله عليه وسلم "من التمس رضاالله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس .. ومن إلتمس رضا الناس بسخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس"[٣].

والمستمع شريك للمغتاب لقول النبى صلى الله عليه وسلم "المستمع أحد المغتابين" فالمستمع لايخرج من الإثم إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه . وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه الإثم .

وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الإثم . قال النبى صلى الله عليه وسلم "من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر علي نصره أذله الله على رؤوس الخلائق" وإن كان الباعث على الغيبة هو الحسد فليعلم الحاسد أنه جمع بين عذاب الدنيا والآخرة .. فالحاسد مغلول مهموم فى الدنيا ومعاقب يوم القيامة قال

---

(١) سورة النور الآية : ٢٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٤ .

(٣) ابن حبان فى صحيحة عن عائشة رضى الله عنها بلفظه ، والترمذى .

النبى صلى الله عليه وسلم "الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[١] وربما يكون الحسد سبب فى إنتشار فضل المحسود كما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

ثانياً : الاعذار المبيحة للغيبة :

هناك أنواع من الغيبة يعفوا الله عنها لضرورتها مع الأخذ فى الإعتبار أن الله عليم بذات الصدور .. وأن العبرة بالنية .. وهى سبعة أمور[٢] :

الأول : التظلم : يباح للمتظلم أن يذكر للقاضى الظلم الذى وقع عليه وذلك ليصل إلى حقه ، والدليل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : "إن لصاحب الحق مقالاً"[٣] .. فهذه غيبة ولكن معفو عنها للضرورة.

الثانى : الإستعانة على تغيير المنكر بذكره لمن يظن قدرته على إزالته. كذكر الأم عيوب أولادها لأبيهم لإصلاح شأنهم .

---

(١) أخرجه أبو داود عن أبى هريرة ، وابن ماجة عن أنس .

(٢) راجع تفسير القرطبى : ٢٢١/١٦ ، ٢٢٢ ، وإحياء علوم الدين ١٦١/٣، ١٦٢، رياض الصالحين للإمام النووى ص ٤١٩ – ٤٢٢ .

(٣) متفق عليه .

الثالث : الإستفتاء فيجوز للمستفتي أن يقول للمفتي : ظلمني فلان بكذا أو ما طريق تحصيل حقي أو نحوه . وذلك كما حدث حين ذهبت بنت عقبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستفتيه فقالت : إن أبا سفيان رجل شحيح لايعطني ما يكفني أنا وولدي أفآخذ من غير علمه فقال : "خذي مايكفيك وولدك بالمعروف"(١) فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان قصدها الإستفتاء . وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت إن أبا الجهم ومعاوية خطباني فقال رسول الله صلى الله اليه وسلم: أما معاوية فصعلوك لامال له ، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه"(٢) وفي رواية لمسلم، "وأما أبو الجهم فضراب للنساء(٣)" وهو تفسيرلرواية "لايضع العصا عن عاتقه" وقيل معناه: كثير الأسفار . قال النووي : "وفيه دليل على جواز ذكر الإنسان بما فيه عند المشاورة وطلب النصيحة ولايكون هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة(٤)".

الرابع: الأمانة في إبداء الرأي ، وتحذير المسلم من الشر فالمستشار مؤتمن، فإذا دعت الضرورة للتصريح بعيوب من يؤخذ رأيك فيه جاز ذلك: كأخذ الرأي في الخاطب لفتاة . علي أن تقتصر بذكر مايكفي فإن

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) متفق عليه .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الرضاع . باب المطلقة البائن لانفقة لها ١٠٤/١٠ بشرح النووي .

(٤) شرح النووي علي صحيح مسلم ٩٧/١٠ .

كفى "لايصلح" فذلك وإن إحتاج إلى ذكر عيب ذكره أو عيبين وهكذا فلايجوز الزيادة على مايكفي . وليكن الهدف من وراء ذلك النصح لا الوقيعة .

الخامس : التعريف بالشخص بذكر عيبه قد إشتهر به مثل : الأعرج الأعور، الأعمش فيجوز بشرط قصد التعريف لا التنقيص ، وكان المعيوب لايكره أن يذكر به كما جاء في قوله تعالى : (عبس وتولى أن جاءه الأعمى)[١].

السادس : أن يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث والمجاهر بشرب الخمر وكان ممن يجاهر بفسقه ، لا من الله يتقى ، ولا من الناس يستحى ، ولا يكره أن يذكر به . فإذا ذكر بما يتظاهر به فلا إثم فقد قيل : "من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له" وروى عن الحسن أنه قال : ثلاثة ليس لهم حرمة : صاحب الهوى ، والفاسق المعلن ، والإمام الجائر"[٢].

السابع : التحذير لمن يهمك أمره : كما حدث في قصة يوسف عليه السلام التى حكا عنها القرآن : (قال يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين)[٣]وعلى كل الأحوال فعلى المغتاب أن يستغفر الله، ويتوب إليه .

---

(١) سورة عبس الآيتان : ١ ، ٢ .

(٢) تفسير القرطبى : ١٢١/١٦ .

(٣) سورة يوسف الآية : ٥ .

حكم الغيبة :

إختلف العلماء في حكم الغيبة فقد نقل القرطبى وغيره الإجماع على أنها من الكبائر ، وعن الغزالي وغيره أنها من الصغائر .

وحجة من قال أنها من الصغائر :

١- أنه لو لم تكن كذلك يلزم فسق الناس كلهم إلا الفذ النادر منهم وهذا حرج عظيم .

ويعارض هذا الرأى بالأدلة الكثيرة الدالة على أنها من الكبائر منها عن أبى بكر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يوم النحر بمنى فى حجة الوداع : إن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت[١].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله"[٢].

وعن أبى عبد الرحمن بلال بن الحارث المزنى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .
(٢) رواه مسلم والترمذى .

رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطة يوم يلقاه[١].

٢- كما إستدل من قال إنها صغيرة ما رواه أحمد وغيره بسند صحيح عن أبى بكر قال : بينما أنا أماشى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد رجل عن يسارى فإذا نحن بقبرين أمامنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير وبكى إلي أن قال : وما يعذبان إلا فى الغيبة والبول .

ويرد على هذا بما قاله ابن الأثير : "أي ليس في أمر كان يكبر عليهما ويشق فعله لو أراداه، إلا أنه فى نفسه غير كبير ، وكيف لايكون كبيرا وهما يعذبان ؟"[٢].

قال الألوسى : "فالحق أنها من الكبائر . نعم لايبعد أن يكون منها ماهو من الصغائر كالغيبة التي لا يتأذى بها كثيرا نحو عيب الملبوس والدابة،ومنها مالاينبغى أن يشك فى أنه من أكبر الكبائر كغيبة الأولياء والعلماء بألفاظ الفسق والفجور ونحوها من الألفاظ الشديدة الإيذاء[٣].

وإذا قيل وما حكم غيبة الذمى والحربى والمبتدع ؟ أجاب الألوسى قائلا: "وأما الذمي فكالمسلم فيما يرجع إلى المنع عن الإيذاء لأن الشرع عصم عرضه ودمه وماله . فقد روى عن ابن حيان فى صحيحه أن النبى

---

(١) رواه مالك في الموطأ ، والترمذى فى سننه وقال : حديث حسن صحيح .
(٢) النهاية فى غريب الحديث : ١٤٢/٤ .
(٣) روح المعانى : ١٦٠/٢٦ .

صلى الله عليه وسلم قال : "من سمع يهودياً أو نصرانياً فله النار" ومعنى سمع أى سمعه ما يؤذيه.

وأما الحربى فغيبته ليست بحرام، وأما المبتدع فإن كفر فكالحربى وإلا فكالمسلم . وأما ذكر المبتدع ببدعته فليس مكروها[١]"

كفارة الغيبة :

لاخلاف أن الغيبة من الكبائر ، وأن على من إغتاب أحد أن يتوب إلى الله عز وجل ولافرق بين أن تكون في غيبة المغتاب أو بحضرته وهو المعتمد .

وهل يستحل المغتاب ؟ أى هل يطلب منه أن يتجاوز عنه فيما وقع فيه منه فى عرضه ؟ فيه خلاف :

فقالت فرقة : ليس عليه استحلاله وإنما هي خطيئة بينه وبين ربه . وحجتها : أنه لم يأخذ من ماله ولا أصاب من بدنه ما ينقصه فليس ذلك مظلمة يستحلها منه وإنما المظلمة ما يكون فى المال والبدن .

وقالت فرقة أخرى : هي مظلمة وكفارتها الإستغفار لصاحبها الذى إغتابه . واحتجت بحديث يروى عن الحسن قال : كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته .

(١) المرجع السابق : ٣٦/١٦٠، ١٦١ .

وقالت فرقة ثالثة : هى مظلمة وعليه الإستحلال منها واحتجت بحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لايكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه[١][٢]".

فإذن لابد من الإستحلال إن قدر عليه ، فإن كان غائبا أو ميتا فينبغى أن يكثر له من الإستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات.

وقال الإمام الغزالى : "فإن قلت : فالتحليل هل يجب ؟ فأقول : لا لأنه تبرع والتبرع فضل ، وليس بواجب ولكنه مستحسن، وسبيل المعتذر أن يبالغ فى الثناء عليه والتودد إليه ويلازم ذلك حتي يطيب قلبه ، فإن لم يطب قلبه كان إعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة فى القيامة .

وأضاف الإمام الغزالى قائلا : وكان بعض السلف لايحلل . قال سعيد بن المسيب : لا أحلل من ظلمنى . وقال ابن سيرين : إنى لم احرمها عليه فأحللها له إن الله حرم الغيبة عليه وماكنت لأحلل ماحرم اللهأبدا[٣] .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب المظالم . باب من كانت له مظلمة ٦/٢٦-٢٧ من الفتح.

(٢) راجع تفسير القرطبى : ١٦/٢٢١ بتصرف .

الموضوع السادس

مبدأ المساواة والمقياس الحقيقي للتكريم عند الله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

المناسبة :

لما نهى الله المؤمنين فى الآيتين السابقتين عن السخرية واحتقار بعض الناس بعضاً وعن الغيبة نبه سبحانه الناس فى هذه الآية على تساويهم فى الخلقة والبشرية خلقوا من أب واحد وأم واحدة ، ولا فضل لواحد على الآخر إلا بالتقوى وحسن الأدب لا بالأمور الدنيوية الزائلة كالمال والجاه والحسب والنسب فهذه الآية تأكيد للنهى السابق وتقرير للأخوة المانعة من الإغتياب .

اسباب النزول :

قال السيوطى : " أخرج ابن أبى حاتم عن ابن أبى مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذّن، فقال بعض الناس : أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة؟

فقال بعضهم : إن يسخط الله هذا بغيره ، فأنزل الله (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى..) الآية

وقال أيضاً : "قال ابن عساكر فى مبهماته : وجدت بخط ابن بشكوال أن أبا بكر ابن أبى داود أخرج فى تفسيرله: أنها نزلت فى أبى هند، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن يزوجوه أمرأة منهم فقالوا: يارسول الله نزوج بناتنا موالينا ، فنزلت الآية[١].

وقيل : إنها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس . وقوله فى الرجل الذى لم يتفسح له : ابن فلانة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "من الذاكر فلانة؟ قال ثابت: أنا يارسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم: (انظر فى وجوه القوم) فنظر ، فقال : (ما رأيت) قال : رأيت أبيض وأسود وأحمر فقال : (فإنك لاتفضلهم إلا بالتقوى) فنزلت فى ثابت هذه الآية[٢]".

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن فى يده، فما وجد لها مناخا فى المسجد حتى نزل صلى الله عليه وسلم على أيدي الرجال ، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهل، ثم قال: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" ثم قال صلى الله عليه وسلم :"أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم"[٣].

---

(١) لباب النقول فى أسباب النزول ص ١٩٩ .

(٢) تفسير القرطبى : ٢٢٢/١٦ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث ٢ ٣٦٨ .

معانى المفردات :

من ذكر وأنثى : قال الفخر الرازى : "فيه وجهان:

أحدهما : من آدم وحواء .

ثانيهما : كل واحد منكم أيها الموجودون وقت النداء خلقناه من أب وأم، فإن قلنا أن المراد هو الأول ، فذلك إشارة إلى أن لايتفاخر البعض على البعض لكونهم أبناء رجل واحد ، وأمرأة واحدة ، وإن قلنا : إن المراد هو الثانى ، فذلك إشارة إلى أن الجنس واحد ، فإن كل واحد خلق كما خلق الآخر من أب وأم"[1].

وللإمام على رضى الله عنه فى هذا المعنى شعر مشهور[2]:

الناس من جهة التمثيل أكفاء	أبوهم آد م والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة	وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب	يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم	على الهدي لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	وللرجال على الأفعال سيماء
وضد كل امرئ ما كان يجهله	والجاهلون لأهل العلم أعداء

(١) تفسير الفخر الرازى : ١٣٧/٢٨ .

(٢) تفسير القرطبى : ٢٢٣/١٦ .

قوله تعالى : (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

الشعوب : جمع شعب بفتح الشين، وهو ماتشعب من قبائل العرب والعجم . وهو أيضاً القبيلة العظيمة[١].

وهو يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة بفتح العين وقد تكسر تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباسى فصيلة[٢].

وفى التعبير بالشعوب والقبائل وجوه[٣]:

١- قيل : الشعوب فى العجم . والقبائل فى العرب . والأسباط فى بنى إسرائيل .

٢- وقيل : الشعوب عرب اليمن من قحطان . والقبائل ربيعة ومضر وسائر عدنان .

٣- وقيل : الشعب النسب الأبعد . والقبيلة الأقرب .

٤- وقيل : الشعوب الموالى . والقبائل العرب .

٥- وقيل الشعوب الذين ينسبون إلى المدائن والقرى . والقبائل الذين ينسبون إلى آبائهم .

---

(١) مختار الصحاح ص ٣٣٨ .

(٢) روح المعانى : ١٦٢/٢٦ .

(٣) راجع البحر المحيط لأبى حيان : ١١٦/٨ .

وقوله تعالى : (لتعارفوا) :

قرأ الجمهور (لتعارفوا) بتخفيف التاء وأصله لتتعارفوا فحذفت إحدى التاءين ، وقرأ الأعمش بتاءين . وقرأ ابن عباس لتعرفوا مضارع عرف . واللام متعلقة بخلقناكم أى خلقناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضا[١].

قال الشوكانى : "والفائدة فى التعارف أن ينتسب كل واحد منهم إلى نسبه ولا يعترى إلى غيره . والمقصود من هذا أن الله سبحانه وتعالى خلقهم كذلك لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم ، ودعوى أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب ، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة ، وهذا البطن أشرف من هذا البطن[٢].

قوله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) تعليل للنهى عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الإستئناف الحقيقى كأنه قيل : إن الأكرم عنده تعالى هو الأتقى فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى .

قال الزمخشري : وقرئ (أنَّ) بالفتح كأنه قيل: لم لا يتفاخر بالأنساب؟ فقيل : لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم[٣].

إن الله عليم : أى عليم لكل معلوم ومن ذلك أعمالكم

خبير : أى خبير بما تسرون وما تعلنون لا تخفى من ذلك خافية .

---

(١) روح المعانى ١٦٢/٢٦ .
(٢) فتح القدير : ٦٧/٥ .
(٣) الكشاف : ١٦/٤ .

المعنى العام

بعد النداءات السابقة والمتكررة للذين آمنوا للإلتزام بالآداب النفسية والاجتماعية نادى الله تعالى فى هذه الآية البشرية جمعاء على اختلاف أجناسها وألوانها : المسلم والكافر ، والغنى والفقير، والعظيم والوضيع فقال : (ياأيها الناس) وهو نداء عام يناسب الجميع ولم يقل (ياأيها الذين آمنوا) .

ثم أخبرهم تعالى بأن أصلهم واحد أبوهم آدم وأمهم حواء . فالجميع متساوون لإتصالهم بنسب واحد وفى كيفية الخلق فلا داعى للتفاخر بينهم بالأنساب . فما جعل الله الأنساب إلا للتعارف بينهم فينسب كل واحد منهم إلي نسبه ولا يعترى غيره .

وكما بين الله تعالى فى هذه الآية فائدة النسب وهو التعارف كذلك بين النبى صلي الله عليه وسلم الحكمة من النسب فقال عليه الصلاة والسلام : "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأثر"(١).

فإذا عرف الناس هذه الحقيقة زال الخلاف والصراع وحل محله الوئام والتعاون . فليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعانى من حساب في ميزان الله تعالى إنما هنالك ميزان واحد تذوب فيه أعراض

---

(١) أخرجه الترمذى وقال : حديث غريب .

الدنيا وعصبية الجاهلية .. ويعرف به فضل الناس فقال تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أى أفضلكم عند الله التقى . والتقى هو الذى يراعى حدود الله تعالى أمراً ونهياً ، يفعل ما أمره الله ويتنزه عما نهاه عنه .

وتأكيدا لهذا المعنى نذكر ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم .

روى الطبرانى بسنده عن محمد بن حبيب . بن خراش العصرى يحدث عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "المسلمون إخوة لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى" .

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[١].

وروى البزار فى مسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان"[٢].

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ١٢١/١٦ بشرح النووى .

(٢) الجعلان : بكسر الجيم وسكون العين . جمع مفرده جعل بضم الجيم وفتح العين وهو دابه سوداء من دواب الأرض . وقيل : الخنفساء . أنظر لسان العرب : ١١٢/١١ وهذا الحديث وعيد وتحقير لمن يفاخرون بآبائهم وأجدادهم .

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي ذر قال: إن النبى صلى الله عليه وسلم قال له: "أنظر فإنك ليس بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله"(١).

وروى عن أبى هريرة قال : قيل للنبى صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس؟ قال: "أكرمهم أتقاهم"، قالوا : يانبى الله ليس عن هذا نسألك، قال:"فأكرم الناس يوسف نبى الله، ابن نبى الله، ابن نبى الله ابن خليل الله، قالوا: وليس عن هذا نسألك ، قال :"فعن معادن العرب تسألونى"؟ قالوا : نعم قال: فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا"(٢).

وروى أن رجلا سأل عيسى بن مريم أى الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال أى هاتين أفضل ؟ الناس خلقوا من تراب فأكرمهم أتقاهم(٣).

ومن خلال هذه الآية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة يتبين لنا أن المقياس الحقيقى الذى ينبغى أن يقوم عليه التفاضل والتفاوت بين الناس هو الدين الحق وتقوى الله عز وجل ، فلا المال ولا الجاه ولا السلطان ولا الحسب والنسب أساس للحكم على الناس .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده : ١٥٨/٥ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب الأنبياء . باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ١١٩/٤ ، ١٢٠ .

(٣) ذكره الطبرسى فى مجمع البيان : ٩٧/٦ .

ولكن خطر الآن علي بالى هذا السؤال وهو كيف لايكون للنسب إعتبار فى حين أنه هو المعتبر عرفا عند اختيار الزوجين فلاتزوج الشريفة بالوضيع ؟! ولكن أدركت الإجابة على الفور ، ذلك أن الأمر الحقير لايظهر مع الأمر العظيم . فالكواكب مثلا لايظهر ضوؤها عند طلوع الشمس . وطنين الذباب لا يسمع عند رعد البرق . كذلك إذا جاء الشرف الدينى الإلهى لايبقى لأمر دينوى إعتبار . ألا ترى أن الكافر وإن كان من أعلى الناس نسبا ، والمؤمن وإن كان من أدونهم نسبا لايقاس أحدهما بالآخر .

كما أننا يجب أن نلتزم بأوامر النبى صلى الله عليه وسلم فقد حث على الزواج من صاحب الدين والخلق . فقال عليه الصلاة والسلام : "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد(١).

فائدة :

إذا قيل ما الحكمة فى اختيار النسب من جملة أسباب التفاخر ولم يذكر المال ؟ نقول : الأمور التى يفتخر بها فى الدينا وإن كانت كثيرة لكن النسب أعلاها ،لأن المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به ، كذلك الحسن والجمال وغير ذلك غير ثابت وغير دائم أما النسب

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه . كتاب النكاح . باب ماجاء من ترضون دينه فزوجوه ٢/٢٧٤ .
قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب .

فهو ثابت ومستمر مع الإنسان ، ولا يمكن تحصيله لمن ليس له نسب ، لذلك خصه الله تعالى بالذكر دون غيره ، ثم أبطل إعتباره بالنسبة إلى التقوي فيكون من باب أولى إبطال غيره من الأمور الدنيوية .

الموضوع السابع

الإيمان الصحيح

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

المناسبة :

لما ذكر سبحانه وتعالى أن أكرم الناس عند الله عز وجل أتقاهم له وكان أصل التقوى الإيمان ذكر ماكانت تقوله العرب من دعوى الإيمان ليثبت لهم الشرف والفضل فقال تبارك وتعالى : منكرا على الأعراب الذين أول ما دخلوا فى الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان فى قلوبهم بعد (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم..) أى لم تصدقوا تصديقا صحيحا عن اعتقاد قلب وخلوص نيه وطمأنينة[١].

---

(١) راجع فتح القدير : ٥/٦٧ .

وقيل : لما قرر سبحانه فى ختام الآية السالفة أنه تعالى عليم خبير بين فى هذه الآية أن قوما من الأعراب غفلوا أو تغافلوا عن هذه الحقيقة فزينت لهم أوهامهم أن يكذبوا على النبى صلى الله عليه وسلم بإدعاء الإيمان وفاتهم أن النبى صلى الله عليه وسلم يستقى علمه من وحى الله عز وجل وأنه تعالى لاتخفى عليه خافية وسيخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحالهم[1].

وبهذا يتبين لنا مدى شدة الترابط بين آيات القرآن الكريم وكأنه عقد منظوم أو حلقة مفرغة لايعرف بدايتها من نهايتها . وذلك لشدة التناسب بين الآيات.

اسباب النزول :

نزلت فى أعراب من بنى أسد بن خزيمة قدموا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة جدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين فى السر. وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها ، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة ، وجعلوا يمنون عليه فأنزل عليه الله تعالى فيهم هذه الآية .

وقال ابن عباس : نزلت فى أعراب أرادوا أن يَتسَمَّوا بإسم الهجرة قبل أن يهاجروا ، فأعلم الله أن لهم أسماء الأعراب لاأسماء المهاجرين.

---

(١) تفسير سورة الحجرات للدكتور/ كمال المهدى ص ٩٨ ، ٩٩ .

وقال السدىّ : نزلت فى الأعراب المذكورين فى سورة الفتح : مزينة وجهينة وأسلم وغفار والديل وأشجع ، قالوا آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم ، فلما أستنفروا إلى المدينة تخلفوا . فنزلت[١].

معانى المفردات :

الأعراب : هم سكان البادية خاصة يتتبعون مساقط الغيث ومنابت الكلأ ، وليس الأعراب جمعا لعرب . بل هو إسم جنس . فإن العرب هذا الجيل المعروف مطلقا والأعراب سكان البادية منهم .

وقيل : العرب سكان المدن والقرى ، والأعراب سكان البادية من هذا الجيل أو مواليهم فهما متباينان[٢]. ولذا فإذا قيل للأعرابى ياعربى مزح، وإذا قيل للعربى يا أعرابى غضب .

والمراد بالأعراب في هذه الآية: قوم من بوادى العرب قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم، المدينة، طمعا فى الصدقات ، لارغبة فى الإسلام ، فسماهم الله تعالى الأعراب .

آمنا : الإيمان معناه التصديق .

---

(١) القرطبى : ٢٢٧/١٦ .
(٢) روح المعانى : ٤/١١ .

أسلمنا : الإسلام هو إظهار الخضوع والقبول لما أتي به النبى صلى الله عليه وسلم ، وبه يحقن الدم ، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب ، فذلك الإيمان الذى يقال للموصوف به هو مؤمن مسلم وهو المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولاشاك ، وهو الذى يرى أن أداء الفرائض واجب عليه وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخله فى ذلك ريب .

فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق، فذلك الذى يقول أسلمت بلسانه فقط ، لأن الإيمان لابد أن يكون صاحبه صديقا .

فالمؤمن : مبطن من التصديق مثل ما يُظهر .

والمسلم التام الإسلام : مظهر للطاعة مؤمن بها .

والمسلم الذى أظهر الإسلام تعوذا غير مؤمن فى الحقيقة[١].

فالإيمان أخص من الإسلام ، فقد يوجد الإسلام ولايوجد الإيمان. ولكنه لايوجد إيمان بدون إسلام وعلى هذا نقول : كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن .

لايلتكم : أى لاينقصكم ولا يظلمكم من أعمالكم شيئاً وهو من لات يليت[٢].

---

(١) لسان العرب : ٢٣/١٣ .

(٢) المرجع السابق : ٨٦/٦ .

يرتابوا : يشكوا .

يمنون عليك أن أسلموا : أى يعدون إسلامهم منة عليك وهى النعمة التى يطلب مواليها ثوابا ممن أنعم بها عليه[١].

الشرح والبيان :

قال الله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) .

فى هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالي العليم بظواهر عباده الخبير بسرائرهم نبيه صلى الله عليه وسلم بسرائر بعض الأعراب وهم بنو أسد الذين أتوا للنبى صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة وادَّعوا الإيمان. وفى الحقيقة لم يكونوا مؤمنين . وقالوا ذلك من أجل الحصول على الصدقات . فأخبر الله تعالى نبيه بسرائرهم وأمره أن يخبرهم بذلك ليكون آية ومعجزة له فقال : (قل لم وتؤمنوا) أى لم تصدقوا بقلوبكم تصديقاً صحيحاً عن اعتقاد قلب وخلوص نية وطمأنينة ولكن قولوا أسلمنا أى أسلمنا خوف القتل والسبى أو الطمع فى الصدقة .

وهذا يدل علي نفى الإيمان عنهم وثبوت الإسلام لهم .

والمعروف أن مسمى الإيمان الشرعى الصحيح والإسلام الشرعى الصحيح هو إستسلام القلب بالإعتقاد ، واللسان بالإقرار، والجوارح

(١) تفسير أبى السعود : ١٢٤/٨ .

بالعمل، فمؤدى الإيمان والإسلام على هذا الإعتبار الشرعى واحد كما يدل عليه قوله تعالى: (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)(١).

وإذا كان الأمر كذلك فإنه يحتاج إلى شرح وبيان وجه الفرق بين الإيمان والإسلام في هذه الآية الكريمة لأن الله نفى عنهم الإيمان دون الإسلام ، ولذلك وجهان معروفان عند العلماء:

أحدهما : أن الإيمان المنفى عنهم فى هذه الآية هو مسماه الشرعى الصحيح ، والإسلام المثبت لهم فيها هو الإسلام اللغوى الذى هو الإستسلام والإنقياد بالجوارح دون القلب ، وإنما ساغ إطلاق الحقيقة اللغوية هنا علي الإسلام مع أن الحقيقة الشرعية مقدمة علي اللغوية على الصحيح ، لأن الشرع الكريم جاء باعتبار الظاهر وأن توكل السرائر إلي الله .

فانقياد الجوارح فى الظاهر بالعمل واللسان بالإقرار يكتفى به شرعا وإن كان القلب منطويا على الكفر ، ولهذا ساغ إرادة الحقيقة اللغوية فى قوله : (ولكن قولوا أسلمنا) لأن انقياد اللسان والجوارح فى الظاهر إسلام لغوى مكتفى به شرعا عن البحث والتنقيب عن القلوب .. وكل انقياد واستسلام وإذعان يسمى إسلاما لغة .

وعلى هذا القول فالأعراب المذكورين منافقون لأنهم مسلمون فى

---

(١) سورة الذريات الآيتان : ٣٥ ، ٣٦ .

الظاهر وهم كفار فى الباطن .

الوجه الثانى : أن المراد بنفى الإيمان فى قوله : (لم تؤمنوا) نفى كمال الإيمان لانفيه من الأصل ... وعليه فلا إشكال أيضا ، لأنهم مسلمون مع أن إيمانهم غير تام وهذا لا إشكال فيه عند أهل السنة والجماعة القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص ، وإنما كان الوجه الأول أظهر وهو أن المراد بالإسلام معناه اللغوى دون الشرعى ، وأن الأعراب المذكورين كفار فى الباطن وإن أسلموا فى الظاهر ، لأن قوله تعالى : (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) يدل على ذلك[1].

وفى وقوله تعالى: (قالت الأعراب) أى بعض الأعراب والدليل على ذلك قوله تعالى (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر)[2] وقوله تعالى : (الأعراب أشد كفرا ونفاقا)[3] أى بعضهم وهو من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده ومما يدل على أن جميع الأعراب ليسوا على هذه الصفة قوله تعالى : (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم)[4].

وإذا قيل هل قوله تعالى : (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) يشبه

---

(١) راجع الفتوحات الإلهية ١٨٦/٤ ، وتفسير سورة الحجرات للدكتور كمال المهدى ص١٠٤، ١٠٥.

(٢) سورة التوبة الآية : ٩٨ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٩٧ .

(٤) سورة التوبة الآية : ٩٩ .

التكرير لقوله : (قل لم تؤمنوا) ؟

أجاب الزمخشرى عن هذا السؤال فقال : "فإن قلت قوله (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) بعد قوله تعالى (قل لم تؤمنوا) يشبه التكرير من غير إستقلال بفائدة متجددة . قلت ليس كذلك فإن فائدة قوله (لم تؤمنوا) تكذيب دعواهم وقوله (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) توقيت لما أمروا به أن يقولوه. كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى (قولوا) .

وأضاف قائلا : وما فى (لما) من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد"[1] أ.هـ

***

(١) الكشاف : ١٧/٤ .

قوله تعالى :

(وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم) .

هذا فتح لباب التوبة ، وتحريض على الإيمان الصادق .

ومعنى طاعة الله ورسوله أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الإيمان ويعملوا بمقتضياته فإن فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وأنعم عليهم بجزيل ثوابه ولا ينقص من أجورهم ، لذلك ختم الآية بقوله : (إن الله غفور رحيم) .

وقوله تعالى : (لايلتكم من أعمالكم شيئا) يقال لات يلت : إذا نقص ، ولاته يليته ويلونه : إذا نقصه .

قرأ الجمهور (يلتكم) من لاته يليته كباع يبيعه . وقرأ أبو عمرو (لايألتكم) بالهمز من ألته يألته بالفتح فى الماضى والكسر فى المضارع ، واختار قراءة أبو عمرو أبو حاتم لقوله :

(وما ألتناهم من عملهم من شئ) وهى لغة أسد وغطفان ، وعليها قول الشاعر :

أبلغ سراة بنى سعد مغلغلة جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا

والمراد من الآية : أنكم إذا أتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة فهو يؤتكم ما يليق به من الجزاء .

وفيها أيضا تسلية لقلوب من تأخر إيمانه ، كأنه يقول غيرى سبقنى وآمن حين كان النبى وحيدا وآواه حين كان ضعيفا ، ونحن آمنا عندما عجزنا عن مقاومته وغلبنا بقوته ، فلا يكون لإيماننا وقع ولا لنا عليه أجر ، فقال تعالى :

إن أجركم لاينقص ، وما تتوقعون تعطون ، غاية ما فى الباب أن التقدم يزيد فى أجورهم . (١) .

ولذلك ختم الله تعالى الآية بقوله :

(إن الله غفور رحيم) .

أى يغفر الله لكم ما قد سلف ويرحمكم بما أوتيتم به وفى هذه الآية إرشاد إلى أن طاعة الله ورسوله من مؤهلات عظيم أجره ومثوبته وواسع مغفرته ورحمته .

* * *

(١) الفخر الرازى ٢٨ / ١٤٢

حقيقة الايمان وبيان صفات المؤمنين المستحقين لإسم الإيمان :

قال تعالى : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله وروسله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) هذه الآية إرشاد للأعراب الذين إدعوا الإيمان . كما أن فيها بيان لحقيقة الإيمان، وبعض صفات المؤمنين المستحقين لإسم الإيمان وهى عدة :

الأولى : أنهم آمنوا بالله عز وجل وأيقنوا بعظمته واستشعرت نفوسهم عظيم قدرته وواجب العبودية له .

الثانية : أنهم آمنوا برسوله وأيقنوا أنه يبلغ عن ربه ، وأن من أطاعه فقد أطاع الله .

الثالثة : (ثم لم يرتابوا) لم يشكوا فى وحدانية الله ولا فى نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم فإيمانهم ثابت غير مزعزع سواء أصابهم خير أو شر.

ثم تقتضى الترتيب والتراخى . فإن قيل كيف جعل عدم الإرتياب متراخياً عن الإيمان مع أنه لا ينفك عنه بحال ؟

أجاب الألوسى قائلا :

(جعل عدم الإرتياب متراخيا عن الإيمان مع أنه لاينفك عنه لإفادة نفى الشك فيما بعد عند اعتراء شبهة كأنه قيل : آمنوا ثم لم يعتريهم ما يعترى الضعفاء بعد حين . وهذا لايدل على إنهم كانوا مرتابين أولا بل يدل على أنهم كما لم يرتابوا أولا لم يحدث لهم ارتياب

ثانياً ، والحاصل آمنوا ثم لم يحدث لهم ريبة فالتراخى زمانى.

وأضاف قائلاً : وقال بعض الأجلة : عطف عدم الإرتياب على الإيمان من باب (ملائكته وجبريل) تنبيها على أنه الأصل فى الإيمان [١] أ.هـ فـهـو من باب عطف الخـاص على العـام تنبـيـهـاً على أنه الأصل فى الإيمان.

الرابعة : (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أى فى طاعته والمـجـاهدة بالأمـوال والأنفس تصلح للعـبـادات المـاليـة والبـدنيـة بأسرها[٢].

وجاهدوا: فعل ماض وفاعله واو الجماعة ويحتـمل أن يكون لازماً فـيكون مـعناه بذلوا الجـهد وأن يكون مـتـعـديا وحـينئذ يكون مـفـعـوله محذوفاً تقديره : العدو أو النفس أو الهوى .

وسـر تقـديم الأمـوال على الأنفس من باب التـرقى من الأدنى الى الأعلى ، ويجوز أن يقال : قدم الأموال لحرص الكثير عليها حتى أنهم يهلكون أنفسهم بسببها مع أنه أوفق نظراً إلى التعريض بأولئك الأعراب حيث أنهم لم يكفـهم أنهم لم يجـاهدوا بأمـوالهم حـتى جـاءوا وأظـهـروا الإسلام حباً للمغانم وعرض الدنيا .

الخـامسـة :(أولئك هم الصادقـون) أى هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون فى قولهم إنا مؤمنون وليسوا ممن دخلوا فى الله خوف السيف

---

(١) روح المعانى : ١٦٨/٢٦ .
(٢) تفسير البيضاوى ٨٣/٨ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى .

ولحقن دمائهم ، وأموالهم . فمضمون الآية مدح للمؤمنين وذم لأعراب بني أسد .

وفى الخازن :"لما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فأنزل الله عز وجل : (قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله بكل شيء عليم)(١)،(٢).

والإستفهام هنا للإنكار والتوبيخ أى كيف تعلمونه بعقيدتكم وهو عالم بكل خافية . ففى هذه الآية يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينكر على هؤلاء الأعراب ويكذبهم فى قولهم آمنا .

ومعنى أتعلمون الله بدينكم : أى أتخبرون الله بإيمانكم .

والتعليم إفادة العلم على التدريج والمعالجة ، فالتعبير بالتعليم فيه زيادة تشنيع لهم ، وقيل :"تعريض من لا يعلم بإفهام المعني لأنه يعلم"(٣) .

وقوله : (والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض) حال من مفعول تعلمون ، مؤكدة لتشنيعهم .

وقوله :(والله بكل شيء عليم) تذييل مقرر لما قبله أى مبالغ فى

---

(١) سورة الحجرات الآية :١٦

(٢) تفسير الخازن ١/٢٣٢-٢٣٣

(٣) تفسير النيسابورى بهامش الطبرى : ٩٦/٢٦ .

العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفى من الكفر عند إظهارهم الإيمان ، وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم .

★★★★

الدين لله :

قال تعالى :(يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) الآية (١٧) في هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن الدين ينبغي أن يكون لله ، وإقرار بأن إسلامهم لم يكن لله .

قال الطبري :"ذكر أن هؤلاء الأعراب من بني أسد امتنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا آمنا من غير قتال ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا فأنزل الله فيهم هذه الآية[١] .

وقوله : (يمنون عليك أن أسلموا) .

المن : تعداد النعم على المنعم عليه وهو مذموم من الخلق ممدوح من الله تعالى كما قال (بل الله يمن عليكم ...) أن أسلموا : في موضع المفعول - يمنون - أي يمنون عليك إسلامهم

أو هو بتقدير حرف الجر فيكون المصدر المنسبك من أن وما بعدها

---

(١) تفسير الطبري : ٩٢/٢٦ .

منصوباً بنزع الخافض أو مجروراً بالحرف المقدر أي يمنون عليك إسلامهم ، ويقال نحو ذلك في قوله تعالى :(قل لا تمنوا على إسلامكم) فهو إما على معنى لا تعتدوا إسلامكم منة على أولا تمنوا على بإسلامكم .

وقال أبو حيان :"ويجوز أن يكون أسلموا مفعولاً من أجله[١] " أى يتفضلون عليك لأجل إسلامهم .

ثم قال تعالى :(بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) أى هداكم للإيمان الذى ادعيتموه وفى إضافة الإسلام إليهم إزدراء بإسلامهم وفى إيراد الإيمان مطلقاً غير مضاف إشارة إلى الإيمان المعهود الذى يجب أن يكون المكلف عليه وجواب الشرط محذوف أى : إن كنتم صادقين فى ادعاء الإيمان الحقيقى فلله المنة عليكم[٢] .

فإن قيل كيف منَّ عليهم بالهداية إلى الإيمان مع أنه تعالى بين أنهم لم يؤمنوا ؟

أجاب الفخر الرازى[٣] عن هذا السؤال بثلاثة أوجه .

أحدها : أنه تعالى لم يقل : بل الله يمن عليكم أن رزقكم الإيمان ، بل قال : (أن هداكم للإيمان) وإرسال الرسل بالآيات البينات هداية .

ثانيها : هو أنه تعالى يمن عليهم بما زعموا ، فكأنه قال أنتم قلتم

---

(١) تفسير أبى حيان : ١١٧/٨ .
(٢) تفسير النيسابورى بهامش الطبرى : ٩٧/٢٦ .
(٣) مفاتيح الغيب : ١٤٤/٢٨ .

آمنا ، فذلك نعمة فى حقكم حيث تخلصتم من النار ، فتقال هداكم فى زعمكم .

ثالثها : وهو الأصح ، هو أن الله تعالى بين بعد ذلك شرطاً فقال (إن كنتم صادقين) .

التعريض بأنهم غير صادقين:

قال تعالى :(إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون) الآية (١٨) .

هذه الآية بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم ، يعنى أنه عز وجل يعلم كل مستتر فى العالم ، ويبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شىء فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم .

ولا يخفى ما فى هذا التعبير من التقرير والتأكيد حيث أكد سبحانه وتعالى بـ (إن) وأتى بالمضارع الذى يدل على الحال والإستقبال ووضع المصدر موضع إسم المفعول بقوله "إن الله يعلم غيب السموات والأرض" أى ما غاب فيها ، وما ظهر ، وما خفى من أعمال العباد ، وما استتر سبحانه علام الغيوب بما فى الضمائر وخلجات القلوب .

وأخيراً نلاحظ أن آخر السورة مع التئامه بما قبله شديد الإرتباط والتناسب مع أول السورة ، إذ فيه تقرير لقوله تعالى : (لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله) فإنه لا يخفى عليه سر فلا تتركوا خوفه فى السر ، ولا يخفى عليه علن فلا تأمنوه فى العلانية .

وبهذا نرى مدى التناسق والترابط بين آيات السورة كلها من بدايتها إلى نهايتها (سبحانه وتعالى عما يشركون) .(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) .



الخاتمة

وبعد : فهذه هى السورة الجليلة ، التى تكاد بأياتها الثمانية عشرة تستقل برسم معالم عالم كريم نظيف رفيع سليم بينما هى تكشف عن كبريات الحقائق ، وتقرر أصولها فى أعماق الضمير ...

ومن أهم آداب هذه السورة ما يلى :

١- لزوم العمل بالشرع ورعاية الأدب وترك مقتضيات الطبع .

٢- تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وتوقيره .

٣- وجوب التثبت من خبر الفاسق ، والنهى عن الإقدام على قبوله ، والعمل به إلا بعد التبين بصحة ما أخبر به .

٤- حرمة النميمة ، وعدم تصديق الإشاعات .

٥- وجود رعاية حق الأخوة الدينية ، وذلك من قوله تعالى (إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم) .

٦- ترك الإعجاب بالنفس والنظر الى أحد بعين الإحتقار . قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) .

٧- إعلان أن تقوى الله عز وجل هى المقياس الحق للتفاضل بين الناس .

٨- إستنكار التفرقة العنصرية فى جميع صورها وأشكالها .

٩- الإيمان تصديق وإذعان لا مجرد كلمة يرددها اللسان .

١٠- من صفات المؤمنين طاعة الله ورسوله ، وعدم الشك في وحدانية الله تعالى ، وفى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والجهاد بالمال والنفس فى سبيل الله .

١١- إحاطة علم الله جل شأنه بكل شيء .

****

وأخيراً أسأل الله سبحانه أن يهدينا سبيل السداد والرشاد ، وأسأله عز وجل أن يلهمنى الفهم لمعانى كتابه الكريم وسنة نبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وأن يوفقنى للقيام بخدمتهما ، والعمل بما فيها ، وأن يجعلنا ممن يكون كتابهم شفيعاً لهم ، وأن يتفضل علينا بنعمة الرضا وشرف القبول . إنه تعالى أكرم مسئول وخير مأمول ، وله الحمد فى الأولى والآخرة وهو السميع البصير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله على سيدنا محمد خير الأنام ، وخاتم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام .

تم بحمد الله تفسير سورة الحجرات فى ١٨ من ربيع الأول ١٤١٣هـ الموافق ١٦ من سبتمبر ١٩٩٢ م .

د. عفاف على النجار

مدرس التفسير وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بجامعة الأزهر - القاهرة

فهرس المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - إحياء علوم الدين : للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى ، دار الريان للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

٣ - الإستيعاب فى معرفة الأصحاب : لابن عبد البر . مطبعة نهضة مصر . الفجالة القاهرة .

٤ - إعراب القرآن الكريم وبيانه : لمحى الدين الدرويش . دار الإرشاد حمص .

٥ - البحر المحيط : لأبى حيان . مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .

٦ - تفسير أبى السعود : لأبى السعود محمد بن محمد العمادى . دار احياء التراث العربى بيروت . الطبعة الثانية .

٧ - تفسير الخازن : للإمام محمد بن ابراهيم البنداد الشهير بالخازن مطبعة مصطفى الحلبى . الطبعة الثالثة .

٨ - تفسير الفخر الرازى : (التفسير الكبير) للإمام الرازى . دار احياء التراث العربى بيروت . الطبعة الثالثة .

٩ - تفسير النيسابورى بهامش تفسير الطبرى . دار الحديث بالقاهرة ١٤٠٧ هـ .

١٠ - الترغيب والترهيب : للمنذرى . دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ

١١- جامع البيان فى تفسير القرآن : لأبى جعفر بن جرير الطبرى دار الحديث بالقاهرة ١٤٠٧ هـ .

١٢- الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى . دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .

١٣- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى . دار صادر بيروت ١٢٨٣هـ

١٤- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى : للألوسى دار احياء التراث العربى بيروت . الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ .

١٥- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : للإمام النووى . دار الحديث .

١٦- سنن ابن ماجة . القاهرة . دار احياء الكتب العربية ١٩٥٢م .

١٧- سنن أبى داود : دار الفكر ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م .

١٨- سنن الترمذى . القاهرة . المكتبة الإسلامية ١٩٦٢م .

١٩- سنن النسائى . دار الفكر بيروت .

٢٠- صحيح البخارى . دار احياء التراث العربى ١٩٥٨م .

٢١- صحيح مسلم . دار احياء التراث العربى ١٩٥٦م .

٢٢- فتح القدير : للشوكانى . دار احياء التراث العربى . بيروت .

٢٣- فى ظلال القرآن : سيد قطب . دار الشروق الطبعة السادسة ١٣٩٨هـ .

٢٤- الفتوحات الألهية بتوضيح تفسير الجلالين . للشيخ سليمان الجمل مطبعة عيسى البابى الحلبى .

٢٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : للزمخشرى . دار المعرفة بيروت .

٢٦- لباب النقول فى أسباب النزول : للسيوطى . دار احياء العلوم بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ .

٢٧- لسان العرب : لابن منظور . دار صادر بيروت .

٢٨- مجمع البيان فى تفسير القرآن : للطبرسى . منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .

٢٩- مختصر تفسير ابن كثير . اختصار وتحقيق محمد على الصابونى . دار القرآن الكريم . بيروت . الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ .

٣٠- مختار الصحاح : لأبى بكر الرازى . دار الكتب العربية بيروت .

٣١- مسند الإمام أحمد ابن حنبل . القاهرة ١٣١٣ هـ .

الفهرس